الفصل العاشر

أثر التوراة

لهذا المدون في التوراة عن الإسماعيليين والقحطانيين ، وعن نوح وأولاده ، وعن الأنساب الأخرى ، أثر ظاهر على عمل أهل الأخبار والأنساب الذين اشتغلوا بموضوع النسب في الإسلام ، بل يظهر ان أثره كان فعالاً ومؤثراً حتى في الجاهليين ، وذلك لاتصالهم واختلاطهم بأهل الكتاب .

وكان لما جاء في القرآن الكريم مجملاً من أمر آدم ونوح والطوفان وابراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل وغيرهم ، وما جاء فيه من أمر عاد وثمود وقوم صالح وأصحاب الأيكة وقوم تُبّع ، أثر كبير أيضاً في أهل الأخبار والتفسير حملهم على البحث عنهم . والتفتيش عن أخبارهم من الأحياء المسنين الذين كانوا يقصون على جيلهم قصص الماضين وأخبار العرب المتقدمين ، ومن أهل الكتاب الذين كان لهم إلمام بما جاء في التوراة من الرسل والأنبياء والأمم القديمة والأنساب .

ويمكن حصر الروايات الواردة في الأنساب ، والمأخوذة من أهل الكتاب ورجعها الى الطرق الأصلية التي وردت منها وإلى الأماكن التي ظهرت فيها ، وسنجد بعد البحث أن أكثر رواة هذا النوع من الأخبار كانوا قد استقوا من معين واحد . هم مسلمة أهل الكتاب ، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وعبدالله بن سلام ، ومحمد بن كعب القرظي ، ورجل من أهل تدمر عرف

بـ (أبي يعقوب) كان يهودياً فأسلم . وقد زود (ابن الكلبي) وغير ابن الكلبي بقسط من هذه الأسماء التي يستعملها النسابون في الأنساب : وكان (محمد ابن اسحاق) صاحب السيرة يعتمد على أهل الكتاب ، ويكثر الرواية عنهم ويسميهم أهل العلم الأول[1] .

وقد استغل نفر من أهل الكتاب حاجة المسلمين هذه الى الوقوف على (البدء)[2] أي مبدأ الخلق والتكوين ، وقصص الرسل والأنبياء ، وكيفية توزع البشر ، فأخذوا يفتعلون ويضعون ويصنعون على التوراة والكتب اليهودية المقدسة ، يبيعونه لهم أو يتقربون به اليهم ، إدعاءً للعلم والفهم . قال الطبري (كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب ، ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً)[3].

أما ما ذكروه من أن (أبا يعقوب) التدمري وجد في كتاب (بورخ بن ناريا) (كاتب أرميا) ، نسب (معد بن عدنان) فإنه كذب وتلفيق، فليس في كتاب (بورخ) شيء من هذا النسب . وكتابه من جملة أسفار (الأبوكريفا) في نظر (البروتستانت)[4] ، وهو مترجم الى العربية ومطبوع مع أسفار التوراة الأخرى ، في الترجمة (الكاثوليكية) ، وقد قرأناه فلم نجد فيه شيئاً من هذا الذي يذكره اليهودي الذي دخل في الإسلام.وليس لـ(بورخ) كتاب آخر فنقول

---

١ الفهرست (ص ١٣٦) ، « عن محمد بن اسحاق . قال حدثني بعض اهل العلم من اهل الكتاب » ، الاكليل (١/٣١)

٢ « وفي كتاب البدء ، ونقله ابن سعيد » ، قيل للكتب التي تبحث في الخلق وبدء التكوين والانبياء « كتب البدء » ، قال المسعودي : « وما ذكره اهل التاريخ والمصنفون لكتب البدء ، كوهب بن منبه وابن اسحاق وغيرهما .. » مروج(١/٣٢٠) ابن خلدون (٢/١٨ ، ٣٤)

٣ «وكان رجل من اهل تدمر يكني ابا يعقوب من مسلمة بنى اسرائيل قد قرأ من كتبهم وعلم علمهم ، فذكر ان بورخ بن ناديا كاتب ارميا اثبت نسب معد بن عدنان عنده ووضعه في كتبه ، وانه معروف عند احباء اهل الكتاب وعلمائهم مثبت في اسفارهم ، وهو مقارب لهذه الاسماء ، ولعل خلاف ما بينهم من قبل اللغة ، لان هذه الاسماء ترجمت من العبرانية » ، الطبقات (حـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٩) ، تفسير الطبري (١/٣٠٠) ، (٣/٢٣١)
Nallino, Raccolta, Vol. 3, P. 120, Sprenger, Mohammad, Vol. 3, P. CXXXIII, Goldziher, Muh. Stud. Bd. I, S. 178, Muir, Life of Muhamet, CVII, Bate, P. 117.

٤ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٥)

إنه وجده فيه ، ولا يعقل أن يكون كتاب (بورخ) الذي قرأه نسخة خاصة لم توجد عند غيره من الناس ، حتى نحسن الظن به . وكل ما نجـــده في سفر (بورخ) مما قد يكون له علاقة بالعرب هو هذه الكلمات : (لم يسمع به في كنعان ولا تروى في تيمان ، وبنو هاجر أيضاً المبتغون للتعقل على الأرض وتجار مرّان وتيمان وقائلو الأمثال ومبتغو التعقل ، لم يعرفوا طريق الحكمة ولم يذكروا سبلها)[1] . وليس في هـــذه الكلمات كما نرى شيء ما له صلة بنسب (معد بن عدنان) .

فكنعان ، كناية عن الكنعانيين ، وليست لهم صلة بمعـــد أو بعدنان . وأما (تيمان) فكناية عن أرض كانت في الجنوب الشرقي من (أدوم) ، وهـــي أرض (أبناء الشرق) ، وقد نسبت التوراة التيمانيين الى (اليفاز بن عيسو)[2] ، ونسبت اليهم الحكمة[3] . وليست لهم علاقة أيضاً بأبناء معد ولا بعدنان .

وأما (بنو هاجر) (الهاجريون) (Hagrites) فانهم شعب سكن شرق أرض (جلعاد) ، وقد اختلف علماء التوراة في أصله ، فمنهم من عدّه قبيلة عربية ، ومنهم من عدّه من الآراميين ، ومنهم من رأى انهم (الإسماعيليون) . وقد ذكر الهاجريون مع أقوام من الآراميين في كتابـــة أخبار انتصارات (تغلا تبليسر الثالث) (Tiglath-Pileser III) . وهكذا وجدنا أنفسنا غاجـزين حتى في هذا الموضع من سفر (باروخ) من العثور عن أية صلة للكلمات المذكورة بنسب (معد بن عدنان) .

ويروي رواة الشعر وأهل الأخبار شعراً لعدي بن زيد العبادي ولأمية بن أبي الصلت ولنفر آخر من الشعراء في أحداث وأمور توراتيـــة . وهذه الأشعار إن صح انها لهم حقاً ، دلت على وقوف أولئك الشعراء على التوراة، أو على بعض أسفارها ، أو على قصص منهـــا . أما عدي بن زيد ، فلا أستبعد وقوفه على التوراة ، فقد كان نصرانياً قارئاً كاتبـــاً بالفارسية والعربية ، وربما كان كاتباً بلغة بني إرم كذلك ، لغة المثقفين في العراق يومئذ . وقد كان هو نفسه من

---

١ نبوءة باروك ، الاصحاح الثالث ، الاية ٢٢ وما بعدها .
٢ التكوين ، الاصحاح ٣٦ ، الاية ١١ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٩٦/١ وما بعدها)
٣ ارميا الاصحاح ٤٩ ، الاية ٧ وما بعدها .

المثقفين ثقافة عالية بالقياس الى زمانه ، وفي شعره زهد وتصوف وتدين وتأمل وتفكر ، فلا يستبعد إذن أخذه من التوراة ومن الأناجيل . وقد أورد (الهمداني) له أبياتاً في قصة آدم وحواء والجنة والحيّة[1] . وهي أبيات فيها ركة وضعف ، ولكنها منتزعة من (سفر التكوين) من التوراة أخذت منه[2] . وهي إن كانت من شعره ومن نظمه حقاً ، كانت أقدم شعر يصل الينا في نظم بعض قصص التوراة بلغة عربية .

وأما (أمية بن أبي الصلت) ، فقد كان واقفاً على كتب اليهود والنصارى كما يذكر أهل الأخبار ، قارئاً لكتب الديانتين ، مطلعاً على العبرانية أو السريانية أو على اللغتين معاً ، إن كان واقفاً أي حائراً بين الديانتين ، فلم يدخل في أمية ديانة منهما ، وإنما كان من الأحناف على حد تعبير أهل الأخبار ، لذلك لا يستبعد وقوفه على قصص توراتي وإنجيلي ، وعلى الاستفادة منه في الشعر . ونجد في شعره ألفاظاً غريبة ، يذكر أهل الأخبار أنه أخذها من لغات أهل الكتاب ، فوضعها في شعره ، وشعره كما قلت في مواضع من هذا الكتاب يستحق من هذه الناحية الدرس والنقد ، لنرى الى أية درجة من الحق والصدق تصل دعاوى أهل الأخبار في شعر أمية ، وفي نسبته اليه . وهو إن ثبت انه له ، كان أيضاً دليلاً على وقوف المثقفين من الجاهليين على كتب أهل الكتاب ، وشيوعه في الحجاز ، وكان أيضاً دليلاً على نظم بعض الشعراء لحوادث التوراة والإنجيل في شعرهم في ذلك العهد .

ونجد في شعر (أميّة بن أبي الصلت) وأمثاله من المتصلين بأهل الكتاب القارئين لكتبهم كما يذكر أهل الأخبار ، فائدة كبيرة لنا في تكوين رأي عام عن وقوف العرب على الآراء التوراتية في الجاهلية ، وفي جملة ذلك أنساب التوراة . وفي الشعر المنسوب الى (أمية) آراء مستمدة من التوراة ، مثل شعره في (نوح) وفي قصة (الطوفان) والغراب والحمامة وبقية حكاية الطوفان الى زواله ، فإنه إن صح دل على وقوف (أمية) على خبر قصة (الطوفان) الواردة في السفر السادس فما بعده من التكوين . فإن ما جاء في هذا الشعر هو اقتباس

---

١ الاكليل (٢٩/١ وما بعدها)
٢ الاصحاح الثاني وما بعده

لما ورد في تلك الأسفار[1] : ونجـد له أشعاراً أخرى إن صحت نسبتها اليه ، دلّت على أنه كان على اتصال بأهل الكتاب ، وعلى أخذ منهم . ولعله كان يغرف من قصصهم الذي كان يشرح للناس ما جاء في التوراة ، أو أنـه كان يراجع ترجمات للتوراة كانت بعربيـة أهل الكتاب في ذلك العهد ، أو يسمع منهم ترجمة التوراة سماعاً فوقف على بعض ما جاء فيها ، وفي جملة ذلك هذا القصص ، وربما الأنساب المتعلقة بالعرب كذلك .

وحكاية (أمية) عن الطوفان أقرب الى التوراة من حكاية (الأعشى) أبـي بصير ميمون بن قيس ، عن الطوفان . وذلك إن صح أن ذلك الشعر من نظمه حقاً . فإن العناصر التوراتية فيه ليست بارزة واضحة وضوحهـا في شعر أمية : ويظهر من بعض الجمل الواردة في شعر الأعشى عن الطوفان مثل :

ونادى ابنه نوح وكان بمعزل ألا اركب معي واترك مصاحبة الكبر

فقال :

سآوي نحو أعيط مشرف بطول شنان السماء ذي مسلك وعر[2]

ومثل :

ونجا لنوح في السفينة أهله ملاحكة الألواح معطوفة الدسر
فلما استوت من أربعين تجرمت تناهت على الجودي أرست فما تجري[3]

ومن مضمون القصة نفسها ، ان المنبع الذي استقى منه الشاعر (الطوفان) هو القرآن الكريم ، ومن يراجع الآيات المنزلة عن (نوح) وعن الطوفان وعن ابنه ، وكيف امتنع عن الركوب معه بالرغم من إلحاح نوح عليـه ، يجزم أن الشاعر المذكور قد أخذ الطوفان من القرآن الكريم ومن موارد اسلامية، واستعمل ألفاظاً وتراكيب وردت في كتاب الله ، ولم ترد في التوراة :

---

١ راجع التكوين ؛ الاصحاح السادس فما بعده ، الاكليل (١٨/١ وما بعدها)
٢ « الكبر » هكذا ضبطت في الاكليل (٥٢/١) ، وارى ان لفظة الكفر انسب الـى المعنى من هذه اللفظة .
٣ الاكليل (٥٢/١)

واني أشك في كون هذا الشعر من شعر (الأعشى) . فالأعشى رجل لم يسلم وان أدرك أيام الرسول ، كان قد قصد الرسول ، ونظم قصيدة في مدحه ، ولكن قريشاً أثّرت عليه ، وحالت بينه وبين الوصول الى الرسول ، وعاد الى (منفوحة) بلدته ، فمات بها دون أن يسلم . والرأي عندي ان تلك الأبيات ، هي من صنع مسلم ، وضعها على لسانه .

ولا يعني شكّي في صحة نسبة هذه الأبيات الى الأعشى ، ان الأعشى كان بعيداً عن آراء ومعتقدات أهل الكتاب ، غير واقف على أخبارهم وعقائدهم . فقد كان الأعشى جوّالاً جوّاباً زار العراق وبلاد الشام، اتصل بقبائل نصرانية ، وجالس اليهود والفرس والروم ، ووردت في أشعاره ألفاظ من ألفاظ الحضارة الأعجمية ، كما وردت فيها أفكار تدل على وقوف على آراء وأفكار دينية وخواطر فلسفية ، فرجل مثل هذا لا يستبعد وقوفه على قصص يهودي ونصراني وعلى آراء دينية لأهل الكتاب . وللحكم على مقدار فهمه لها ، يمكن بالطبع دراسة ما ورد في الشعر على لسانه ، ومطابقته بما نعرفه من آراء القوم لنقف على درجة صلة ما جاء في شعر الأعشى من آراء ومعتقدات بآراء أهل الكتاب ومعتقداتهم .

أما الأماكن التي ظهرت فيها هذه الروايات الاسرائيلية ، فهي : اليمن ، والمدينة ، والعراق . ومن العراق الكوفة بصورة خاصة . وقد كان في كل هذه المواضع رجال من أهل الكتاب موّنوا أهل الأخبار بما كانوا يرغبون في معرفته، ولم يكن هؤلاء على قدر واحد في المعرفة والفهم ، والظاهر ان منهم من لم يكن له إلمام بالتوراة ولا بالتلمود وغيرهما من الكتب ، وانما أخذ ذلك من أهل النظر منهم ، أو كما وصل اليه من أهله وحاشيته ، ولذلك اضطرب الأخباريون في بعض الأحيان في رواية خبر واحد ، كما اختلفوا في ضبط الأسماء . وقد علل ابن خلدون اختلافهم في ضبط الأسماء بقوله : « واعلم ان الخلاف الذي في ضبط الأسماء انما عرض في مخارج الحروف ، فان هذه الأسماء انما أخذها العرب من أهل التوراة ، ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب . فاذا وقع الحرف متوسطاً بين حرفين من لغة العرب ، فترده العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا . وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلام العجم، فمن ها هنا اختلف الضبط في هذه الأسماء »[1] .

١ ابن خلدون (٢/٥)

والحق هو ان هذا الخطأ لم يقع في ضبط الأسماء فقط ، بل وقع في أمور جوهرية أخرى ترينا جهل بعض الرواة بجدول الأنساب ، وترينا الخلط أحياناً بين الروايات الاسرائيلية والروايات الايرانية حتى تكوّن من هذا المجموع المدون في الكتب الإسلامية عن الأنساب خليط من روايات اسرائيلية وروايات فارسية وقصص شعبي عربي ، يجوز أن نضيف اليه عنصراً آخر هو الوضع ،فقد وضع الرواة شيئاً من عندهم حين عجزوا عن الحصول عليه من الموارد الثلاثة المذكورة، وكان لا بد لهم من سد تلك الثُغر ، فسدّوها بما جادت به قرائحهم من شعر ونثر . ومن هذا القبيل ، ما أدخلوه على التوراة أيضاً من أنساب زعموا أنها وردت في التوراة ، وليس لها في الواقع وجود فيها .

خذ آدم ، فقد صيّره الأخباريون (كيومرث)[1] وهو من الفرس ، وخذ نوحاً ترَ انه صار (افريدون) عند أهل الأخبار وهو من الفرس أيضاً[2] ، وجعلوا (لاوذ) ابناً من أبناء إرم من سام أخي عوص وكاثر[3] ، مع انه (لود) في التوراة ، وهو شقيق إرم بن سام ووالد عوص وجاثر[4] ، وقالوا أشياء أخرى لا وجود لها في التوراة .

أما متى دخلت أنساب التوراة الى العرب ، ومتى ظهرت وشاعت بينهم ، فنحن لا نستطيع أن نحدد ذلك على وجه مضبوط بالقياس الى أيام الجاهلية . ولكننا نستطيع أن نقول انها كانت قد تسربت الى الجاهليين من اليهود ، وذلك بوجودهم في الجزيرة العربية واتصالهم بالعرب ، وقد يكون من النصارى أيضاً، وقد تفشت في أماكن من جزيرة العرب وبين بعض القبائل ، وان هؤلاء أي أهل الكتاب هم الذين أشاعوا بين الجاهليين هذه الأنساب . وقد تكون لليهود يدٌ في اشاعة خبر رابطة النسب وأواصر القربى التي تربط بينهم وبين العرب ، وذلك للتأثير عليهم وللتقرب منهم ، وللسكن بينهم بهدوء وسلام .

ونستطيع أن نقول جازمين ان هذا القصص الإسرائيلي ، وهذه الأنساب التي يرويها أهل الأخبار ، لم تكن كثيرة الشيوع بين الجاهليين ، وانما هي شاعت

---

١ ابن خلدون (٢/٥)
٢ ابن خلدون (٢/٦)
٣ ابن خلدون (٢/٧) .
٤ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٢ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ١٧ ، Hastings, P. 557.

وراجت في الإسلام ، وذلك للأسباب المذكورة ، ومروجوها وناشروها هم زمرة تحدثت عنهم في مواضع متعددة من هذا الكتاب .

ونحن لا يهمنا هنا من الأنساب الواردة في التوراة الا الأنساب المتعلقة بالعرب وبالشعوب العربية ، ومعنى هذه الأنساب الخاصة بذرية (سام) و (كوش) : ويهمنا من ذرية (سام) ذرية (إرم) و (لود) و (أرفخشذ) ، حيث ألحق النسابون بهؤلاء قبائل العرب . أما أشور و (عيلام) ، وهما بقية أبناء (سام) ، فليس لذريتهم علاقة بالعرب ، فليس لنا كلام عنهم في هذا المكان .

وأولاد سام في التوراة ، هم خمسة : (عيلام) ، و (أشور) ، و(أرفكشاد) ، و (لود) ، و (أرام)[1] . وقد ضبط الأخباريون الأسماء على هذه الصورة : (أشوذ) ، و (أرفخشذ) ، و (عليم) (عويلم) (عيلم) ، و (لاوذ) و (ارم)[2] . وأضافوا اليهم (عابراً) ، فصيّروه أخاً للمذكورين وابناً من أبناء (سام) . أما في التوراة فإن عابراً هو حفيدُ حفيد (سام) ، وليس بابن له ، وقد سيق نسبه فيهـا على هذه الصورة : (عابر بن شالح بن أرفكشاد ابن سام) . وكان ابراهيم هو السابع من أعقابه[3] .

ونجد الطبري يروي في مكان من تأريخـه أن أولاد سام ، هم : (أرفخشذ ابن سام ، وأشوذ بن سام ، ولاوذ بن سام ، وعـويلم بن سام)[4] ، فهم أربعة . وقال بعد اسم (عويلم بن سام) مباشرة : (وكان لسام إرم بن سام)[5] مما يدل على أن المورد الذي نقل منه الطبري روايتـه لم يكن على علم تام بخبر أم (إرم) ، ويؤيد هذا الاستنتاج قوله : (قال : ولا أدري إرم لأم ارفخشذ واخوته أم لا ؟[6]) . وقد قال هذا المورد إن أم أبناء سام المذكورين هي :

---

١ التكوين ، الاصحاح العاشر،الاية٢٢ ، اخبار الايام الاول،الاصحاح الاول ، الاية ١٧

٢ ويرد ارم في بعض الكتب ارام وارم ، الطبري (١٠٣/١) ،ابن خلدون (٧/٢) ، الكامل ، لابن الاثير (٣١/١) ، التيجان (٢٥) .

٣ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢١ ، ٢٥ ، والاصحاح الحادي عشر ، الاية ١٤ فما بعدها ، واخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الاية ١٩

٤ الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف » .

٥ المصـدر نفسه

٦ كـذلـك

(صليب ابنـــة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قيس بن آدم[1]) فيكون عدد أولاد (سام) خمسة أيضاً وهو العدد المذكور في التوراة إلا أننا نرى تبايناً بين روايتي الطبري والتوراة في الترتيب وفي الضبط : ضبط الأسماء .

ونجد الطبري يروي في مكان آخر أن أولاد سام ، هم : عابر ، وعليم ، وأشوذ ، وأرفخشذ ، ولاوذ ، وإرم . وذكر أن من ولد (أرفخشذ) الأنبياء والرسل وخيار الناس والعرب كلها والفراعنة بمصر[2] . ويظهر من هـذه الرواية أن ولد سام هم ستة ، وقد نتج ذلك عن ضم (عابر) الى ولد سام . وهو ضم مخالف لما جاء في التوراة . ولو رفعنا اسم (عابر) من الأسماء المذكورة، لصارت بقية الأسماء خمسة ، وقد رتبت على وفق ما ورد في (سفر التكوين) : فـ (عليم) هو (عيلام) ، و (أشوذ) ، هو (أشور) ، و (أرفخشذ) ، هو (ارفكشاد) ، و (لاوذ) ، هو (لود) ، و (إرم) هو (أرام) .

وليس في التوراة ذكر لأبناء (لود) ، أي (لاوذ) أهل الأخبار والأنساب. وكل ما فيها أن لـــه نسلاً ، وقد عرفوا بـ (اللوديين) . وقـــد ذكروا مع (كوش) و (فوط) مما يبعث على الظن أنهم إفريقيون[3] . ولورود اسم جدهم (لود) مع (أشور) و (ارام) و (عيلام) ، يرى علماء التوراة أن اللوديين الذين هم من نسل (لود بن سام) هم شعب من شعوب الشرق الأدنى ، لا تبعد مواطنهم عن البابليين والآشوريين ، وأنهم غير (اللوديين) الإفريقيين، اللوديين المنحدرين من صلب (مصرايم) ، أي (مصر) المذكورين أيضاً في التوراة[4].

ولهذا فإن الأولاد الذين نسبهم أهل الأخبار الى (لود) ، (لاوذ) ، وهم: طسم وعمليق ، وجرجـــان ، وفارس على رواية ، وجديس ، وأميم ، وعبد ضخم على رواية أخرى[5] ، وأمثالهم ممن لم نذكر من الأولاد ، هم هبة منحها

---

١ الطبري (٢٠٢/١ وما بعدها)
٢ الطبرى (٢٠٥/١) ، التيجان (٢٥) ، الكامل (٣١/١)
٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٩٩/٢ فما بعدها) ، ارميا ، الاصحـــاح السادس والاربعيـــن ، الايـــة ٩ .
٤ التكوين الاصحاح العاشر ، الاية ١٣ ، حزقيال ، الاصحاح ٢٧ الاية ١٠ ، الاصحاح ٣٠ ، الاية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس ، (٢٩٩/٢) Hastings, P. 557
٥ الطبري (١٠٣/١) ، ابن خلدون (٧/٢)
Sprenger, in ZDMG., 17 (1863), S. 373.

أهل الأخبار والأنساب لـ (لاوذ) لا نجد لها ذكراً في التوراة :

إنّ (عمليقاً) ، الذي هو جد العمالقة على رأي أهل الأخبار ، وليس من نسل (لود) في التوراة ، بل هو جد (أول الشعوب)[1] ، لذلك يبدو تجاسر أهل الأخبار بمنح (لود) أولاداً عملاً غريباً ، والظاهر أن (ابن الكلبي) واليه ترجع أكثر هذه الروايات ، أو أحد من سألهم عنهم ، اختاروا (لوداً) من بين أبناء (سام) فنحوه أولئك الأولاد . وكان لا بد لهم من نسبتهم الى أحد الأجـداد المتقدمين القحطانيين ، لأنهم أقدم منهم في نظرهم ، فاختاروا لهم ذلك الأب .

أما (أرام) ، وهو (إرم) عند أهل الأخبار ، فقد أولد أولاداً على ما جاء في التوراة ، وهم : (عوص) (UZ) ، و (جاثر) (كاثر) (غاثر) (Gether) ، و (حويل) ، (حول) (Hul) ، و (ماش) (Mash)[2] . وقد ذكروا في موضع من التوراة أنهم أبناء (سام)[3] ، وذلك جرياً على طريقة العبرانيـين في حذف اسم الأب أحياناً ، وإلحاق الحفدة بالجد مباشرة[4] .

وقد عرف أهل الأخبار هذه الأسماء[5] ، إلا أنهم قدّموا وأخروا فيهـا كما حرفوا فيها بعض التحريف ، وقد اختار أهل الأخبار (عوصاً) ، فجعلوا لـه أولاداً هم : عاد ، وعبيل[6] ، وغاثر بن عوص ، واختاروا (جاثر) فجعلوا له (ثموداً)[7] و (جديساً)[8] . وقالوا عنهم : (وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا

---

١ العدد ، الاصحاح ٢٤ ، الاية ٢٠ ، قاموس الكتاب المقدس ، (١١٢/٢) .
٢ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٣
٣ اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ١٧
٤ « ولا يستغرب ذلك ، لان من عوائد العبرانيين في جدول انسابهم انه كثيرا مـا ينزلون الحفدة واولادهم منزلة الاولاد من الجيل الاول » ، قاموس الكتـاب المقـدس (١٢٦/٢) ،
٥ سفر التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٣
٦ الطبري (٢٠٤/١ ، ٢٠٧) ، الكامل (٣١/١) ، مروج (٢٤/١) (٣١/١) « طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد »
٧ الطبري (١٠٣/١) ، (٢٠٧/١) « دار المعارف » ، مرو محيى الدين عبد الحميد » .
٨ الطبري (٢٠٤/١ ، ٢٠٧) « دار المعارف » .

اللسان المضري)[1] . ولا نجد في التوراة ولا في اليهوديات ذكراً لهـؤلاء الأولاد الذين منحهم أهل الأخبار (عوص) أو (غاثر) (جـاثر) . إذن فالنسب المذكور هو من صنع الأخباريين .

و (أرام) هو جد (بني إرم) أي (الآراميين) . وهم قوم معروفون فلا حاجة الى التحدث عنهم . وأما (عوص) فهو جد (العوصيين) ، سكان أرض (عوص) موطن (أيوب) (Job) ، إلا أن العلماء لم يتفقوا في تعيين مكانه[2] . فذهب بعضهم الى أنه (دمشق) و (اللجاء) (اللجـاة) مستندين في ذلك الى رواية (يوسيفوس) ، وذهب آخرون الى أنه (أورفا) على الفرات[3] ورأى بعض أنه في (نجد)[4] ، وذهب بعض آخر الى أنه (أدوم) أو العربيـة الشمالية[5] ، ورأى (كلاسر) أنه في شمال غرب (المدينة)[6] ، ورأى غيره أنـه في مكان ما من جزيرة العرب أو من بادية الشام[7] .

وقد استدل بعض الباحثين من سفر (أيوب) ومما ورد عنه : ومن اسمه على أنه كان عربياً ، عاش بين العبرانيين ، أو ان بعضهم اختلط به ، فدوّن أخباره وقصصه[8] . وقد أمدت كتب (الهكادة) (Haggadah) و (التلمود) و (المدارش) اليهـود وأهل الأخبار بقصص عنه وعن أصدقائه الخلص الذين لازموه[9] .

نرى مما تقدم أن الاخباريين قد ربطوا نسب العرب البائدة أي العرب الأولى بالإرميين (الآراميين) وباللوديين (اللاوذيين) وبالعوصيين وبالجاثريين (الغاثريين) . ولا نجد في كتبهم الأسباب التي حملتهم على رجع أنساب هؤلاء العرب الى هؤلاء الآباء . ويظهر أن فكرة وجود عرب أولى عاشت قبل القحطانيين والعدنانيين ،

---

١ الطبري (١/٢٠٤)
٢ قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٦)
Enc. Bibli. P. 5238, Hastings, P. 956, Musil, Hegaz, P. 248.
٣ قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٦) Josephus, Ant. I, VI, 4.
٤ قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٦)
٥ Hastings, P. 956.
٦ Hastings, P. 956.
٧ Hastings, P. 956, Enc. Bibli. P. 5238.
٨ Margoliouth, The Relations, P. 31. f.
٩ « الطبعة الجديدة » Enc., I, P. 795.

جعلت أهل الأخبار يبحثون عن آباء لهم ، يكونون أقدم عهداً من (قحطان) ومن (عدنان) ، فنسبوا أولئك العرب الى (لود) و (أرام) ابني سام ، والى (عوص) و (جاثر) ابني (أرام) ، وهم أقـدم عهداً من جدي القحطانيين والعدنانيين .

أما أثر التوراة على النسابين وأهل الأخبار بالنسبة الى الطبقة الثانية من العرب، الطبقة التي دعاها العرب العاربة ، والعرب القحطانيين ، فقد ذكرت في الفصل الخاص بهؤلاء العرب ان (قحطان) جد القحطانيين ، هو (يقطان) في التوراة . وقد نسبه أكثر أهل الأخبار الى (عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح)[1] . وصيّره بعضهم ابناً من أبناء سام . وقد ذكرت ان النسب الثاني نسب مغلوط، وان نسبه المذكور في التوراة يجعله الابن الثاني الأصغر لـ (عابر) . أما الولد البكر فهو (فالج) ، فيكون العبرانيون واليقطانيون أبناء عم وفق هذا النسب.

وقد ذهب بعض الباحثين في التوراة الى ان (يقطان) لا وجود له ، وانما ابتدع ابتداعاً لايجاد صلة بين العرب والعبرانيين[2] .

وقد ذهب بعض الباحثين في التوراة الى ان عابراً ، جـدّ قبيلة كبيرة ، انقسمت على نفسها الى قسمين : قسم بقي فيما بين النهرين ، وهو القسم الـذي عرف بذرية (فالج) ، ومن هذه الذرية انحدر (العبرانيون) ، وقسم ترك (ما بـين النهرين) وارتحل الى جزيرة العـرب ، وهو القسم الذي عرف بـ (يقطان) ، ودليلهـم على ذلك ان معنى (فالـج) هو (الانشقاق) و (الانقسام) ، وان في أيامه (قسمت الأرض) على رواية التوراة[3] . ومعنى ذلك انقسام ذرية (عابر) ، وانشطارهم الى شطرين .

وقد ذكر (الطـبري) ان (بني يقطن) لحقت باليمن ، فسميت اليمن حيث تيامنوا[4] ، ومصدر خبره هذا (ابن هشام) ، وقد أخذ (ابن هشام) خبره هذا من أهل الكتاب ولا شك .

---

١ « ويقطن : هو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح » ابن سعـد الطبقات (حـ ١ ، ق ١ ، ص ١٨ وما بعدها) ، الطبري (٢٠٧/١) دار المعارف

٢ Hastings, P. 491.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١٤٩/٢) ، التكوين ، الاصحاح العاشر الاية ٢٥ Hastings, P. 490, 697.

٤ الطبري (٢٠٩/١) « طبعة دار المعارف »

ويشك بعض دارسي التوراة في كون (يقطان) المذكور هو (قحطان) الذي يذكره علماء الأنساب ، ويرون ان نظرية من يجعل قحطاناً هو (يقطان) ، نظرية لا تستند الى أساس ، وانما وضعت على التشابه الموجود بين اللفظين،وهذا التشابه هو الذي دفع علماء الأنساب الى اعتبار (قحطان) (يقطاناً) ، فمن ثم صار (يقطان) جداً للعرب القحطانيين[1] . ولكنهم لا ينكـــرون مع ذلك أن (يقطان) التوراة ، هو جدّ قبائل ذكرت التوراة أسماءها،وبعضها قبائل عربية معروفة ، فلا يستبعد أن يكون (يقطان) على رأيهم كناية عن قبائل عربية لم يكن العبرانيون على علم بها تمام العلم[2] .

ولم ترد في القرآن الكريم لفظة (قحطان) أو (يقطان) . ولم ترد كذلك في الكتابات الجاهلية . أما الشعر الجاهلي ، فقد وردت فيه في مواضع الفخـــر والحماسة . واذا وافقنا على انها وردت في الجاهلية القريبة من الإسلام،فانموافقتنا هـــذه لا تعني أن قدماء أهل الجاهلية البعيدين عن الإسلام كانوا على عـــلم بـ (قحطان) ، أو ان قوماً منهم كانوا ينتمون اليه وينتسبون بنسبه ، فحكم مثل هذا لا بد أن يستند الى كتابات وأدلة مقبولة. ولهذا رأى نفر من المستشرقين ان الأخباريين جاؤوا بقحطانهم هذا من التوراة ، من تأثرهم بأهـل الكتاب ، ومن مطالعتهم للتوراة ، فحولوا النزاع الذي كان بين أهل اليمن وفيهم (سبأ) ، والنزاع الذي كان بين أهل مكة وبين أهل مكة ويثرب التي ينتمـــي أهلها الى اليمن الى نزاع بين جدّين ، وصار (قحطان) وليد (يقطـان) (يقطن) جداً حقيقياً ليمن ولمن نسب نفسه اليهم من الأفراد والقبائل[3] .

وقد ورد في جغرافيا (بطلميوس) اسم قريب من (قحطان) هو (كتنيته) (كتانيته) (Katanitae)[4] ، قد يكون دليلاً على وجود أسماء عند الجاهليين قريبة من (قحطان) . أما هذه التسمية ، فاننا لا نستطيع أن نقول ان لهـــا علاقة بقحطان . فالتشابه في التسميات ، لا يكون دليلاً قاطعاً على وحدة تلك

---

١ Hastings, P. 491.

٢ Hastings, P., 490.

٣ Enc. Vol. 2, P., 629.

٤ Ptolemy, Geogr. VI, 7, 20, Glaser, Skizze, Bd., 2, S., 283, Knobel Die Voelkerstafel der Genesis, S. 185, The Historical Geography, Vol. I, P. 80, O'Leary, P. 18.

التسميات . وقد ورد في الموارد العربية اسم قبيلة عرفت بـ (قطن) و بـ (بني قطن) ، كما ورد اسم مكان عرف بـ (جوّ قطن) ، واسم مدينة تدعى (قحطان) ، تقع بين (زبيد) و (صنعاء)[1] . لهذا أرى ان من الخير لنا ألا نتخذ موقفاً خاصاً لا سلباً ولا ايجاباً تجاه هذا الموضوع انتظاراً لاستكمال العدة والحصول على مواد جديدة تكفي لاصدار حكم فيه .

أما بلاد (اليقطانيين) ، على رأي التوراة ، فتمتد من (ميشا) (Mesha) الى (سفار) (Sephar)[2] . ولم تذكر التوراة حدوداً جغرافية لها غير هذين الحدين . ولا يعرف العلماء عن موضوع (ميشا) شيئاً . فذهبوا في تعيينه مذاهب . ذهب بعضهم الى انه (مسينة) أو (ميسان) (Mesene) على رأس الخليج العربي[3] ، وذهب آخرون الى انه (موزح) أو (موسج) في نجد[4] ، ورأى آخرون انه (ماشو) (Mashu) أو (ماش) (Mash) ، أي بادية الشام في الكتابات الآشورية[5] .

وذهب (ديلمن) (Dillmann) الى ان (ميشا) ، تحريف (مسا) (Massa) ، وهو اسم أحد أبناء اسماعيل ، فتكون حدود (اليقطانيين) على رأيه بعد حدود أرض (مسا) ، من قبائل الإسماعيليين مباشرة ، غير اننا لا نستطيع مع ذلك من تعيين الموضع[6] ، لأننا لا نعلم أيضاً أين كانت مواطن (مسا) من قبائل الإسماعيليين ، فكيف نثبت هذه الحدود ؟

وأما الحد الآخر ، وهو (سفار) ، فهو الحد الجنوبي للبلاد (اليقطانيين) ، وذلك باجماع آراء علماء التوراة . ولكنهم يختلفون في تعيين الوضع فقط ، فمنهم من رأى أنه (ظفار) عاصمة الحميريين ، ومنهم من يرى أنه (ظفار) حضرموت التي اشتهرت شهرة واسعة في العالم القديم ، وورد ذكرها في الكتب (الكلاسيكية)[7].

---

١ احسن التقاسيم (٣/٨٣ ، ٩٤) ، « الطبعة الثانية »
Enc. Vol. 2, P. 629, Glaser, Skizze, 2 S. 288.

٢ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٣٠

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٩) ، Hastings, P. 606.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٩)
Hastings, P., 607, Delitzch, Wo Lag ?, S. 242.

٥ التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، الاية ١٤ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الاية ٣٠
Enc. Bibli. P. 3040.

٧ Enc. Bibli., P., 4370, Ritter, Erdkunde, 14, 372, Sprenger, Alte Geogr. S. 185, Skizze, 2, S. 437, Hastings P. 836.

ومن المرجح أن تكون هي الموضع المقصود ، وذلك لشهرتها هذه ولقدمها .

وقد جعلت التوراة لـ (يقطان) أولاداً ، عدّتهم فيها ثلاثة عشر ولداً ، هم : المونداد ، وشالف ، وحضرموت ، وريـاح ، وهدورام ، وأوزال ، ودقلة ، وعوبال ، وابيمايل ، وشبا ، وأوفير ، وحويلة ، ويوباب[1] . وهذه الأسماء ، هي أسماء قبائل ، وأمكنة ، اعتدّها كتبة التوراة على عادة ذلك العهد أسماء أعيان ، وصيروها أسماء أولاد (يقطان) .

ولا يعني هذا العدد ، في نظري ، أنه جميع القبائل العربية التي كانت تقيم في مواطن (اليقطانيين) ، وإنما هو حاصل ما بلغ اليه علم كتبة تلك الأسفـار في ذلك اليوم من أمر هذه القبائل ، ولم تكن معارف أولئك الكتبة يومئذ أكثر من هذا الذي ذكروه ودونوه . على نحو ما وصل الى علمهم ومسامعهم ، فهو لهذا لا يمثل أيضاً ترتيباً جغرافيـاً للأماكن المذكورة ولا سرداً على نسق معين مضبوط[2] .

ونحن اذا أنعمنا النظر في هذه الأسماء نجد أنها قد كدّست في منطقة ضيقة ، هي اليمن وحضرموت . أما ما فوقها الى (ميشا) نهايـة الأرض اليقطانية في الشمال ، فلم يذكر الكتبة من أسماء قبائلها شيئاً ما . وهو يدل على أنهم لم يكونوا يعرفون عن باطن جزيرة العرب شيئاً ، أو أن موضع (ميشا) في مكان آخر في غير هـذا الموضع الذي تصوره علماء التوراة ، كأن يكون في شمال اليمن مثلاً ، وبذلك يستقيم التحديد كل الاستقامة مع ما هو شائع معروف من أن أرض اليمن وبقية العربية الجنوبية هي أصل موطن القحطانيين .

ويظهر أن كتبة النسب في التوراة لم يراعوا في عدهم أسماء أبناء يقطان الترتيب الجغرافي ، أو قرب اليقطانيين وبعدهم عن العبرانيين . فهذا الترتيب ، لا يشير ـ في الحقيقة ـ الى أن الأسماء وضعت على أساس جغرافي . والظاهر أنها جمعت كما وصلت الى مسامع العبرانيين من غير فحص أو تدقيق ، كما أننا لا نستطيع أن نؤكد أنها وصلت صحيحة سالمة من غير تصحيف أو تحريف .

و (المونداد) (مودد) (المودد) (Al-Modad) ، هو الابـن البكر

---

١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٦ فما بعدها

٢ Enc. Bibli. P. 2564, Hasings, P., 490.

ليقطان على ما يفهم من التوراة . وهو رمز عن شعب من الشعوب اليقطانية ، يرى نفر من علماء التوراة أن مواطنه في العربية الجنوبية . قد يكون في جنوب غربي جزيرة العرب[1] . وقد وردت في النصوص العربية الجنوبية وفي نصوص غير عربية كلمات قريبة من هذه الكلمة، مثل (موددى) في البابلية ، و(موادو) (موددو) في البابلية أيضاً وفي (الأمودية)[2] . ووردت لفظة (مودد) في كتابات (جبانية) (كبانية) (Gebanitae) ، في نصوص تدل على تقرب ملوك (حبان) (جبن) (كبن) (جبان) من ملوك معين ، والى سيادة (معين) على (الجبأنيين) في ذلك الحين . فورد (مودد ملك معين) بمعنى (المتودد لملك معين) و (المحب لملك معين) . ويرى (كلاسر) أن هذه الجملة لا تعني (أحباء ملوك معين) وأصفياءهم ، وانما تحكي وظيفة لها علاقة بالإلـه (ود) ، مثل كهانة الإلـه (ود) وسدانته . ومسكن هؤلاء (الجبأنيين) في الزاوية الجنوبية الغربية لجزيرة العرب[3] ، كما ورد اسم (مودد) في الكتابات السبئية[4] ، وفي كتاب الإكليل للهمداني . وقد ذكره قبل (السلف) ، مما يدل على أنه اسم مكان مجاور للسلف[5] .

وأورد (بطلميوس) في الجغرافيا اسم شعب عربي دعاه (Allumaeotae) يرى (فورستر) أنه شعب (المواداد) الذي نتحدث عنه . ويقع مكان هذا الشعب في جغرافيا (بطلميوس) جنوب (الجرعاء) (Gerraea) (Vicus Jerachaeorum) ، ويتصور أنه على ساحل الخليج العربي عند (قطن)[6].

وأما (شالف) (Sheleph) الذي ورد في التوراة بعد (المواداد) ، فلم يتمكن العلماء من تشخيصه أيضاً[7].ويرى بعضهم انه شعب (Salepeni) المذكور في جغرافيا (بطلميوس)[8] : ويرى آخرون انه (السلف) ، وهم بطن من

---

١ Hastings, P. 22, Dictionary of the Bible, I, P., 50, By W. Smith.

٢ Enc. Bbli. P. 116, Hommel, A. H. T., S., 113, Early Babylonian Personal Names, P. 30, Montgomery, Arabia and the Bible, P. 40.

٣ Glaser, Skizze, 2, S. 425.

٤ Ency, Bibli. P. 116, ZDMG. 37, 13, 18.

٥ الاكليل (١/١١٦ وما بعدها)

٦ Forster, Vol. I, P. 107, F.

٧ Hastings, P., 845, Enc. Bibli. P. 4448, Montgomery, Arabia, P. 40.

٨ Forster, Vol. I, P. 109. f.

ذي الكلاع من حمير ، وهو (السلف بن يقطن)[1] ، أو (السلاف) ، أو (بنو سلفان)[2] . و (السلف) أقرب هذه الأسماء الى (شالف) ، وخاصة اذا أخذنا بما قاله النسابون من انتساب هذه القبيلة الى جدّ أعلى هو (السلف ابن يقطن) ، وذكر (نيبور) في رحلته اسم موضع في اليمن يقال له (سلفية)، قد تكون لاسمه علاقة بـ (شالف)[3] . وفي منطقة (يريم) ممر يقال له (نجد الأسلاف)[4] ، وقد رأى (كلاسر) احتمال وجود صلة بينه وبين (شالف)[5] .

وأما (حزرماوث) ، (Hazarmaveth) ، فهو (حضرموت). ومعلوماتنا عن هذا الشعب حسنة بفضل الكتابات الجاهلية التي عثر عليها في العربية الجنوبية، والتي ترجم عدداً منها المستشرقون . وسأتحدث عنهم في الأجزاء الآتية من هذا الكتاب .

وأما (يارح) (Yerah) ، فان معناه (قمر) و (شهر) ، ولهذا ذهب بعض الباحثين الى انه اسم قبيلة عربية . وبين العرب قبيلة تعرف بـ (بني هلال)، فلا يبعد أن يكون (يارح) اسم قبيلة[6] . وقد عثر في كتابات تدمر على اسم (يارح) ، وقد ورد اسم علم[7] ، كما ان اسم (شهر) من الأسماء المعروفة عند الجاهليين ، وقد سُمّي به عدد من الملوك الذين عاشوا قبل الميلاد وبعده .

ويرى (كلاسر) ان الشعب كان يقيم في (مهرة) ، أو في جنوب عمان في موضع قد يكون المكان الـذي سماه (بطلميوس) (Jerakon Kome)[8] .

و (يارح) هو (يرخ) و (ورخ) في اللهجات العربية الجنوبية ، وتعني (شهراً) (قمراً) . وهناك مواضع متعددة في العربية الجنوبية تسمى بأسماء قريبة من هذه الكلمة ، مثل (وراخ) و (يراخ) . وقد ذكر الهمداني

---

١ تاج العروس (١٤٣/٦) ، « السلف » ، البلدان (١٠٩/٥) ، نهاية الارب (٢٧٨/٢) ، القاموس (١٥٣/٣) الاكليل (١١٦/١)

٢ الهلال ، حـ١٣ ، سنة ١٠ ، نيسان ، ١٩٠٢ م (ص ٤٠١)

٣ Enc. Bibli. P. 4448, Niebuhr, Arabien, S. 247, Oslander, in ZDMG., II, 153. ff. Glaser, Skizze, S. 425.

٤ صفة (ص ٧١ ، ١٠١)

٥ Glaser, Skizze, 2 S. 425.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٤٨٧/٢) .

٧ Enc. Bibli. P. 2362, Montgomery, Arabia, P. 40.

٨ Glaser, Skizze, 2, S., 425.

اسم موضع دعاه (وراخ) في مخلاف (العود)[1] ، لذلك رأى بعض العلماء وجود صلة بين هذه المواضع و (يارح) . كما ورد في جغرافيا (بطلميوس) اسم مكان دعاه (Insula Jerachaeorum) ، وهو جزيرة تقع في البحر الأحمر جنوب جُدَّة . وورد اسم محل آخر سمي (Vicus Jerachaeorum) ، ويقع في مقابل النهر الذي دعاه نهر (الآر) (Lar) الذي يصب على زعم (بطلميوس) في الخليج العربي (الخليج الفارسي) (Sinus Persicus)[2] .

وأما (هدورام) (Hadoram) ، فيرى (ملر) (Muller) ، و(كلاسر) احتمال أنه (دورم) ، وهو موضع على مقربة من (صنعاء) . ويؤيدان رأيهما هذا بما ورد في المؤلفات العربية من أن اسم (صنعاء) القديم هو (أزال) . و (أزال) هو شقيق (هدورام) ، وقد ذكر بعده في ترتيب أسماء أولاد (يقطان)[3] .

وقد ذكرت الكتب العربية اسم موضعين يقال لهما (الهدار) . قال الهمداني عن أحدهما : إنه (حصون ونخول وقصور عادية)[4] ، وقال عن الثاني : إنه (هدار بني الحريض)،وذكر أن فيه (القطنية)[5] ، وهذا الموضع الأخير قريب من (هدورام) ، وللفظة (القطنية) أهمية كبيرة لقربها من لفظة (يقطان) .

وقد ذكر (الطبري) في تأريخه أن جرهماً (اسمه هذرم بن عابر بن يقطن ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح)[6] . وهذا النسب الذي ذكره (الطبري) هو النسب الوارد في التوراة بزيادة (عابر) بين (هذرم) وهو (هدورام) وبين (يقطن) . وهو خطأ ، يرد كثيراً في الأنساب المنقولة من

---

١ صفة (ص ١٠١) ، « وراخ : ناحية باليمن » البلدان (٤١١/٨)

٢ Forster, Vol. I, P. 116. ff.

٣ Enc. Bibli. P. 1932, Muller, Burgen und Schlosser, I, S. 360

٤ صفة Glaser, Skizze, 2, 426, Hastings, P. 324, Forster, 2, P. 137.

٥ صفة

٦ الطبري (٢٠٧/١) « دار المعارف »

التوراة الى الكتب العربية . ومورد (الطبري) هو (ابن الكلبي)[1] ، ومورد (ابن الكلبي) هو من أهل الكتاب ، شأنه في ذلك شأن كل الأنساب حيث أخذها من أهل الكتاب .

أما (أزال) ، فهو مثل سائر الأسماء المتقدمة ، غير معروف . ولم يتفق علماء التوراة على تعيينه حتى الآن . وقد ذكر أهل الأخبار أن (صنعاء) عاصمة اليمن ، كانت تعرف في الجاهلية بـ (أزال)[2] . وترجع هذه الرواية الى (وهب بن منبه) ، الذي زعم (أنه وجد في الكتب القديمة المنزلة التي قرأها: أزال كل عليك ، وأنا أتحنن عليك)[3] وزعم أن (أزال) هي (صنعاء) ولم يرد في النصوص الجاهلية ما يفيد أن صنعاء كانت تعرف بـ (أزال) ، بل لدينا نص من أيام الملك (يشرح يحضب) (ملك سبأ وذي ريدان) ويعود الى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول لما قبل الميلاد ، أي القرن المتصل بالقرن الأول للميلاد ورد فيه (صنعو) وهو (صنعاء)[4] .

ويرى (كلاسر) ان اسم (أزال) انما وضع لـ (صنعاء) بعد دخول اليهودية الى اليمن وانتشارها هناك ، وضعه اليهود[5] . وذكر (البكري) ان صنعاء كلمة حبشية ، ومعناها وثيق وحصين[6] .

وهناك مواضع أخرى عرفت بـ (أزال) ، منها موضع يعرف بـ (يأزل) ، عند جبل (حضور) ، وموضع آخر في الحجاز ، غير أن من غير الممكن في الزمان الحاضر البت في أي مكان من هذه الأمكنة بأنه هو (أزال) التوراة[7] .

ولم يتمكن علماء التوراة من البت في موضع (دقلة) (Diklah) أيضاً . ويرى بعض المستشرقين ان هذا الاسم يشير الى مكان يجب أن يكون كثير

---

١ المصدر نفسه

٢ البلدان (٢١٤/١) ، (٣٨٧/٥) ، صفة (ص ٢٥٥)
Montgomery, Arabia, P. 40, Caussin de Perceval, Histoire des Arabes, Vol. I, P. 40.

٣ تاج العروس (٤٢١/٥)

٤ Enc. Bibli. P. 5239, Hastings, P., 956, Enc. Vol. 4, P. 143, Glaser, Skizze 2, S. 427 Sprenger, Geogr. S. 181, Glaser, 424.

٥ Glaser, Skizze, 2, S. 427.

٦ تاج العروس (٤٢١/٥)

٧ Glaser, Skizze, 2, S., 427.

التمر[1] . وقد رأى (هومل) انه موضع (حدّدقل)[2] . وذكر (ياقوت الحموي) موضعاً في اليمامة سماه (دقلة)[3] ، ولكن الباحثين في هـذا الموضوع لم يقطعوا برأي فيه .

ورأى بعض الباحثين ان (عوبال) (Obal) (Ebal) ، شعب (عبيل)، ورأى آخرون انهم (عيبال) في تهامة الحجاز ، أو (عبال) أو (عبيل)، وهما موضعان في اليمن[4] .

ورأى (فورستر) احتمال وجود صلة بين (عوبال) و (Avalitae)، وهو اسم شعب عربي ذكر (بلينيوس) ، أو (Abalitae) ، وقد ذكره بعض الكتبة (الكلاسيكيين)[5] .

وذهب (كلاسر) الى احتمال كون وادي (أتمـة) ، هو موضع شعب (أبيمائيل) (Abimael) ، غير ان ذلك مجرد ظن ، ليس غير[6] .

والولد العاشر من ولد (يقطان) ، هو (شبا) . وقد وردت بعض أخبار (شبا) في أسفار التوراة ، وذكرت قصة (ملك شبا) وزيارتها لسليمان[7] . فسبأ هنا ، شعب من شعوب اليقطانيين . ولكننا نرى التوراة تجعل (شبا) في موضع آخر ابناً لـ (يقشان) ، و (يقشان) هو ابن (ابراهيم) من زوجته (قطورة) (Keterah) ، وهو شقيق (اسماعيل) من أبيه[8] . فسبأ هنا من نسل شعب آخر يختلف عن (سبأ) اليقطانيين . ونراها تذكر (سبأ) بالسين المهملة في جملة أبناء (كوش)[9] . والمعروف ان المراد من (كوش) عنـد العبرانيين ، الحاميون ، أي الشعوب الإفريقية ، فيكون (سبأ) هنا اسم شعب

---

١ Enc. Bibli. P. 1101, Forster, I, P., 147, Montgomery, Arabia, P. 40.

٢ Enc. Bibli. P. 1101.

٣ البلدان (٦٥/٤)

٤ Enc. Bibli. P. 1151, Glaser, Skizze, 2, S. 426, Hastings, P. 201, Halevy, Melanges D'epigraphie et D'archéologie Semitigues, 86.

٥ Forster, I, 148. f.

٦ Glaser, Skizze, 2, S. 426, Enc. Bibli. P. 17, Hastings, P. 4.

٧ الملوك الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ١ فما بعدها

٨ قاموس الكتاب المقدس (٥٢٤/٢) ، التكوين ، الاصحاح الخامس والعشريـن ، الاية ٢ ، اخبار الايام الاول الاصحاح الاول ، الاية ٣٢ Hastings, P. 490.

٩ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٧

من الشعوب الإفريقية[1] .

ومعنى هذا التعدد في النسب انتشار السبئيين وسُكناهم في مواضع متعددة ، وهذا ما حمل كتبة التوراة على ادخال نسب السبئيين الساكنين في إفريقية في نسب (الكوشيين) ، وادخال السبئيين الساكنين عند (ددان) في نسل (رعمة) .

ويرد اسم (أوفير) (Ophir) بين (شبا) و (حويلة) ، وهو كناية عن أرض اشتهرت عند العبرانيين بكثرة ذهبها وبوجود الفضة وخشب الصندل وبعض الأحجار الكريمة فيها[2] . وقد اختلف في تعيين مكانها ، فذهب كثير من علماء التوراة الى انها في جزيرة العرب ، ولكنهم اختلفوا في تعيين المكان ، فذهب بعضهم الى انها في اليمن ، وذهب آخرون الى انها في عسير ، وآخرون الى انها في اليمامة[3] أو موضع (العويفرة) الذي لا يبعد كثيراً عن حافات جبل طويق[4] ، ومنهم من رأى انه (مهد الذهب) في الحجاز ، وهو موضع عرف باستخراج الذهب منه قبل الإسلام بزمن طويل ، وقد نقبت فيه شركة تعدين حديثة ، أغلقت أبوابها من عهد ليس ببعيد ، كما ذكرت ذلك في كلامي على معادن جزيرة العرب .

غير أن هنالك جماعة من الباحثين في التوراة ترى أن الوصف الوارد في التوراة لأرض (أوفير) يجعلها أرضاً في الهند ، وذلك لأن الحاصلات المذكورة فيها هي حاصلات هندية ، ومن الصعب تصور وجودها في بلاد العرب في ذلك الزمان[5] . وذهب فريق آخر الى أنها في إفريقية[6] .

والابن الثاني عشر من أبناء (يقطان) ، هو (حويلة) . وقد ذكرته التوراة في موضع آخر في جملة أبناء (كوش) مع (سبأ) ، مما يدل على توطن قبيلة

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٧٨) ، Hastings, P. 171.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/١٧٩)

٣ Sprenger, Geogr. S. 49. ff. Glaser, Skizze, 2, S. 357, Hommel, AHT. 236, Montgomery, Arabia, P. 38. ff.

٤ Philby, Sheba's Daughters, P. 430.

٥ Lassen, Indische Alterthumskunde, I, 538, Soetbeer, Das Goldland Ophir, 1880 A.K. Keane. The Gold of Ophir, 1901, Moritz, Arabien, S. 7, Forster, Vol. I P. 161, 2, P. 237.

٦ Peters, Das Goldene Ophir Salamons, 1895, Enc. Bibli. P. 3514, Enc. Brita. Vol. 16, P. 807.

أخرى تسمى بهذا الاسم في (إفريقية) لعلّها فرع من فروع (حويلة) بلاد العرب[1] . وقد ذهب بعض العلماء الى أن (حويلة) بلاد العرب ، هي في بادية الشام ، أو على مقربة من خليج العقبة ، وذهب آخرون الى أنها في أواسط جزيرة العرب ، أو في منطقة (جبل شمر) ، ورأى كلاسر أنها في اليمامة[2] .

وقد ذكر (الهمداني) جماعة دعاهم (الحوليين)[3] ، يظهر أنهم سكان موضع (حوالة) وهناك بطن من بطون اليمن يقال له (بنو حوالة) ، كما ورد في اسم (حويل)[4] .

وفي التوراة : (وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ، ومن ثم يتشعب فيصير أربعة رؤوس . اسم أحدهما فيشون ، وهو المحيط بجميع أرض حويلة حيث الذهب . وذهب تلك الأرض جيد . هنالك المقل وحجر الجزع)[5] . فيفهم منه أن نهر (فيشون) (Pishon) يحيط بأرض (حويلة) وهو من أنهر الجنة الأربعة . وأحد الأنهار الأربعة على رأي علماء التوراة هو نهر النيل ، وأما الثاني فهو الفرات ، وأما الثالث فهو نهر دجلة ، وأما النهر الآخر الذي نتحدث عنه ، فذهبوا الى أنه نهر (كارون) أو شط العرب ، أو أحد الأنهر الأخرى فتكون أرض حويلة عندئذ في منطقة تقع على رأس الخليج[6] .

وآخر أبناء (يقطان) هو (يوباب) (Jobab) ، ويرى (كلاسر) انه اسم قبيلة (يهيبب) ، الذي ورد في النصوص السبئية[7] . وذهب بعض آخر الى انه اسم شعب (وبار) ، وانه تصحيف لاسم (Jobarital) الوارد في جغرافيا (بطلميوس)[8] .

---

١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٩ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الاية ١٩ ، ٢٣ ، قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/١)

٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/١)
Enc. Bibli. P. 1974, Musil, Hegaz, P. 261, Hastings, P. 333, Glaser, 2 S. 302

٣ الاكليل (٨٥/٨) « طبعة نبيه »

٤ تاج العروس (٢٩٧/٧) ، القاموس (٣٦٤/٣) ، اللسان (٢٠٧/١٣)

٥ التكوين ، الاصحاح الثاني ، الاية ١٠ وما بعدها

٦ Hastings, P. 203.

٧ Hastings, P., 472, Glaser, Skizze, 2, S. 303, Enc. Bibli. P. 2491.

٨ الهلال : الجزء الثالث عشر من السنة العاشرة ، نيسان ١٩٠٢ ، ص ٣٠٤

وقد أضاف (ابن الكلبي) الى سلسلة أبنـــاء (يقطن) (يقطان) ولداً آخر لم يرد له ذكر في التوراة ، دعاه (توقير) ، زعم انه والد الهند والسند[1]، فربط بذلك بين نسب (اليقطانيـــين) والهنود . ولا ندري : أعبّر عن ذلك جهلاً واعتباطاً ، أم كنّى بذلك عن الروابط القديمة التي ربطت بين العربيـــة الجنوبية والهند ، حيث سكن عـــدد كبير من قدمـــاء الهنود (الدراويديين) (Dravidians) في سواحل عمان وحضرموت ؟ وقد عثرت البعثات العلمية التي نقبت في هذه الأماكن على بقايا هياكل عظمية ترجع الى هؤلاء ، كما يتحـــدث السياح والباحثون في أثر دماء الهند على سكان هذه المناطق .

ولم ينل هؤلاء الأولاد الثلاثة عشر عناية الأخبـــاري (ابن الكلبي) ، ولا عناية (محمد بن اسحاق) ، أو غيرهما من أهل الأخبار المعروفين بأخذهم عن أهل الكتاب ، اذ لم يشيروا اليهم في أثناء كلامهم على أولاد (يقطن) (يقطان)، ولم يتحدثوا عنهم . بل نسبوا اليه أولاداً آخرين تراوح عددهم من عشرة ذكور الى واحد وثلاثين[2] ، أسماؤهم أسماء عربية ، لا وجود لها في التوراة ، ما عدا اسماً أو اسمين . وهذا الإهمال يثير في نفوسنا الدهشة والاستغراب : لِمَ أهمـــل يا ترى هؤلاء الأخباريون أبناء (قحطان) المذكورين في التوراة ، مـــع انهم أخذوا (يقطان) من التوراة ، وجعلوا نسبه نسباً لقحطان ! ولِمَ تكرموا عليه فأعطوه عدداً من الأولاد لم يأت لهم ذكر في التوراة ؟ ولِمَ لم يضم أهل الأخبار أولاد (يقطان) المذكورين الى أولاد قحطان ؟ ألا يدل ذلك على جهل أهـل الأخبار بهم وعدم وقوفهم عليهم ؟ إن كان جهلهم بهم هو السبب ، فان ذلك يدل على ان أهل الأخبار لم يكونوا يرجعون الى التوراة رأساً ، يقرأون أسفارها ويأخذون منها ، بل كانوا — وهذا هو ما أذهب اليه — يراجعون أهل الكتاب ويأخذون منهم ما يريدون . ولهذا لم يقفوا على أولاد (يقطان) ، لأنهـــم لم يسألوا أهل الكتاب عنهم ، أو لأن أهل الكتاب لم يتحدثوا اليهم عنهم . على اننا لا نستطيع أن نقبل هذا العذر ، ذلك لأن أهل الأخبار كانوا قد ذكـــروا أسماء أبناء (اسماعيل) ، نقلوها من التوراة وعـــلى حسب الترتيب الوارد في

---

١ الطبري (٢٠٧/١) Hastings P. 472.

٢ مروج (٧٧/١) ، ابن خلدون (٤٧/١) .

(التكوين) . وهذا ما يجعلنا نتساءل : لِمَ ذكر أهل الأخبار أبناء (اسماعيل)، وأهملوا أبناء (يقطان) ؟ هل هناك تعمد وغرض ؟ إن الاجابة عن مثل هذه الأسئلة، ليست سهلة في الواقع ، لأن أهل الأخبار لم يكونوا يسيرون على قواعد ثابتة وأنظمة معينة في أخذ الأنساب ، ولهذا نراهم يقعون في الغلط ، وذلك يدل على ان علمهم بالأمور الواردة في التوراة لم يكن علماً راسخاً، وان علم محدثيهم من أهل الكتاب لم يكن راسخاً أيضاً ولم يكن مستمداً من التوراة رأساً، بل من السماع والرواية في بعض الأحايين ، والا لما وقعوا في أغلاط شنيعة، وما احتاجوا الى الوضع والكذب ، كالذي نراه من كعب الأخبار ووهب بن منبه وأمثالهما من مسلمة يهود .

الاسماعيليون :

و (اسماعيل) هو الجد الأكبر للعرب المستعربة ، أي العرب العدنانيين . وهو (يشمئيل) (Ishmael) في التوراة ومعنى الاسم (إلهي يسمع) ، أو (يسمع إلهي) . وهو ابن (ابراهيم) من زوجه (هاجر) . وتقول التوراة إنه (ختن) وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ورحل الى بَرِّية (فاران) فتزوج فيها من امرأة مصرية ، وعاش فيها رامياً بالسهام حيث اشتهر بالرماية . ولم تذكر التوراة بعد ذلك شيئاً عنه، إلا ما ورد من أنه حضر دفن أبيه (ابراهيم)، وأنه عاش (١٣٧) سنة[1] .

هذا مجمل ما ورد في التوراة عنه . أما ما أورده أهل الأخبار عنه ، فانه يستند الى هذا الوارد في التوراة عنه ، إلا ما ذكروه عن امرأته ، فقد جعلوها امرأة من (جرهم) ، وما أوردوه عنه من أنه هاجر الى مكة ، وأنه عاش هناك ، وتعلم العربية فيها ، وقبر في (الحجر) عند قبر أمه (هاجر)[2] ، وأمور أخرى صغيرة تختلف باختلاف الروايات .

---

١ التكوين ، الاصحاح السادس عشر ، الاية ٤ فما بعدها ، الاصحاح السابع عشر ، الاية ١٨ فما بعدها ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الاية ٧ فما بعدها .
Hastings, P. 392.

٢ الطبري (١/٣١٤ فما بعدها) .

وقد جعلت التوراة لـ (اسماعيل) ولداً ، عدتهم اثنا عشر ولـداً ، هم : نبايوت بكر اسماعيل ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيش ، وقدمة . ذكرتهم على حسب مواليدهم ، كما نص على ذلك فيها[1] . وهو عدد يظهر أنه من وضع كتاب الأسفار وترتيبهم[2] . أمهم امرأة مصرية[3] ، وهي كناية عن اتصال الاسماعيليين بالمصريين ، وقد أخذ أهل الأخبار هذه الأسماء ، وغيّروا في نطقها بعض التغيير ، فصيّروها : نابت وقيـذر ، واذبل ، ومبشا ، ومسمعا ، وماشي ، ودما ، وأذر ، وطيما ، ويطور ، ونبش ، وقيذما ، وما شاكل ذلك . وقد نص الطبري على اختلاف أهل الأخبار في ضبط هذه الأسماء[4] . ويعود هـذا الاختلاف على ما يظهر الى اختلاف المورد الذي أخذ منه أهل الأخبار .

وقد زعم أهل الأخبار أن اسماعيل تزوّج من جرهم ، وأن اسم زوجـه (رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي)[5] ، أو ما شاكل ذلك من أسمـاء ، وأنها ولدت له اثني عشر رجلاً ، هم : نابت وكان أكبرهم ، وقيـذر ، وأذبل ، ومبشا ، ومسمعا ، ومـاشي ، ودما ، وأذر ، وطيما ، ويطور ، ونبش ، وقيذما[6] . وأكثر هذه الأسمـاء وروداً وتكراراً في الكتب العربية ، نابت وقيذر .

ونرى من عدد هؤلاء الأولاد ومن أسمائهم ، أن رواتها أخذوا أولئك الأولاد من التوراة . أخذوا العـدد وأخذوا الأسماء ، ولكنهم حرفوا وصحفوا فيها ، ولا ندري أكان هذا التحريف قد وقع من الأخباريين أنفسهم ، أجروه تعمداً ليسهل النطق بها في العربية ، أم وقع من الرواة الاسرائيليين أو النصارى الذين

---

١ التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، الاية ١٢ فما بعدها .
٢ Hastings, P. 392.
٣ التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٢١ .
٤ الطبري (٣١٤/١) « طبعة دار المعارف » .
٥ ابن هشام (٣/١) « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » ، « السيدة بنـت مضاض بن عمرو الجرهمي » ، ابن خلدون (٣٧/٢) ، الطبري (١٦/١) ، ابـن الاثير ، الكامل (٤٩/١) ، الطبقات (حـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٥) ، تـاج العـروس (١ / ٣٧٥) ، (٥٩٠/١)
٦ ابن هشام (٣/١) ، ابن خلدون (٣٩/٢) ، مع اختلاف في ضبط الاسمـاء ، الطبري (١/ ١٦١) ، ابن الاثير ، الكامل (٤٩/١)

رَجَعَ أهل الأخبار اليهم ، فأخذوا منهم تلك الأسماء ، أو أنـه مجرد تحريف وتصحيف ، وقع من الجانبين ، فظهر على هذا الشكل .

أما امرأة (اسماعيل) ام أولاده ، فإنها ليست جرهمية عربية في التوراة ، وانما هي امرأة مصرية كما ذكرت . لم تذكر التوراة اسمها . ويذكر أهل الأخبار ان اسماعيل كان قد تزوج بامـرأة أخرى من جرهم قبل (رعلة بن مضاض ابن عمرو الجرهمي) ، أو (السيـدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي) ، كما تعرف في روايات أخرى ، الا انه طلقها بأمر أبيه ، لما جاء الى مكة زائراً ، فلما جاء للمرة الثانية ورأى زوجته الثانية رضي عنها،وأمر ابنه اسماعيل بإبقائها ، فبقيت ، ومنها كان نسله المذكورين[1] .

وقد نص (الطبري) على أن العرب هم من نابت وقيدر[2] ، ولم يذكـر شيئاً عن بقية الأولاد . والظاهر ان اهمالهم هذا الإهمـال يعود الى عدم وقوف الموارد التي أمدّت الأخباريين على شيء عنها ، وعدم تمكنهم من تعيينها وتثبيت مواضعها ، فإن ذلك يحتاج الى علم والى وقوف على ما جاء في كتب التفاسير والشروح والموارد اليهودية الأخرى عن هذه القبائـل . والموارد المذكورة نفسها لا تعرف عن تلك القبائل وعن تلك البلاد شيئاً كثيراً يزيد على ما جاء في التوراة. فإن كتبة الأسفـار لم يهتموا الا بما يتعلق بإسرائيل . أما ما وراء اسرائيـل من شعوب وأرضين،ولا سيما الشعوب التي لا تخام الأرضين التي وجد فيها العبرانيون، فإنها لم تكن تُعنى بها الا بمقدار ما لها من صلة بإسرائيل .

وقد حددت التوراة المنـازل التي أقام بها (الإسماعيليون) ، فجعلتها من (حويلة) الى (شور)[3] . فكل ما وقع بين المكانين ، هو في أرض القبائل الإسماعيلية . وقد ذكرتُ قبل قليل أن آراء العلماء مختلفة في تعيين موقع أرض (حويلة) ، وعندي ان هذا الموضع يجب ألا يكون بعيداً عن فلسطين ، لأن (شاؤول) ضرب العماليق من (حويلة) الى شور[4] . ولا يعقل أن تكون هذه

---

١ الطبري (١/٢٥٦ ، ٣١٤)

٢ الطبري (١/٣١٤) .

٣ التكوين ، اصحاح ٢٥ ، الاية ١٨ .

٤ صموئيل الاول ، اصحاح ١٥ ، الاية ٨ .

الأرضون بعيدة عن فلسطين ، لأن (شاؤول) لم يكن قوياً ذا جيوش جرارة حتى تضرب العماليق في منطقة نائية ، بعيدة عن فلسطين .

وأما (شور) ، فموضع يقع على الحدود الشمالية الشرقية لأرض مصر ، في البرية المسماة بـ (برية تيه بني اسرائيل) وبـ (برية ايتام)[1] . ويرى بعض علماء التوراة ان (الطور) الحالية هي أرض (شور)[2] .

ويلاحظ ان الأرض التي زعم ان (شاؤول) قد ضرب بها العماليق ، «وضرب شاؤول عماليق من حويلة حتى مجيئك الى شور التي مقابل مصر »[3] ،هي الأرض ذاتها التي جعلتها التوراة أرضاً لذرية (يشمعئيل) (اسماعيل) . فيظهر من ذلك أن العماليق كانوا قد سكنوها أيضاً . ولما كان العمالقة قد سكنوا أرضاً ، تقع بين كنعان ومصر في برية سيناء وتيه بني اسرائيل[4] ، وجب أن تكون تلك الأرض هي موطن الإسماعيليين .

ويعترف العبرانيون بوجود صلات قربى لهم بالإسماعيليين . ويظهر أن القبائل الإسماعيلية عاشت زمناً طويلاً في (طور سيناء) . وفي جنوب فلسطين. عاشت عيشة أعرابية[5].ولهذا كان الإسماعيليون أهل وبر بالقياس الى اليقطانيين المستقرين. وقد نظر العبرانيون نظرة عداء الى الإسماعيليين ، لأنهم كانوا يتحرشون بهم ويغيرون عليهم ويتعرضون بتجاراتهم . وقد ذكروا في أيام (داوود)[6] . وقد ورد في التوراة أن الله أوحى الى (هاجر) يبشرها بأن نسل ابنها سيكثر وينمو حتى يكون أمة عظيمة[7] ، وهو كناية عن كثرة عدد أولئك الأعراب في أيام العبرانيين .

هذا ونحن لا نعرف شيئاً يذكر عن (الاشماعيليين) (الإسماعيليين) ، ولا

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٦٤١/١) . Musil, Hegaz, P. 261, 265.

٢ Hastings, P. 852, Enc. Bibli. P. 4498.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٦٤١/١) ،
Hastings, P. 852, Enc. Bibli. P. 4498, Musil, Hegaz, P. 261, 265. ff.

٤ صموئيل الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، الاية ٧ ، قاموس الكتاب المقدس (١١٣/٢) .

٥ التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الاية ١٣ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٩٨/١)

٦ Enc. Bibli. P. 2211, Hastings, P. 392.

٧ التكوين ، الاصحاح ٢١ ، الاية ١٣ وما بعدها .

عن لهجاتهم . ويرى بعض العلماء أن لهجاتهم يجب أن تكون من اللهجات العربية الشمالية المتأثرة بلغة بني إرم[1] . ولعدم وصول نصّ مدوّن بلهجة من لهجات هذه القبائل ، لا نستطيع أن نبدي في الزمان الحاضر رأياً علمياً في شكل هذه اللهجات .

و (نبايوت) هو بكر اسماعيل وأهم القبائل الإسماعيلية في التوراة ، وقد أعطاه هذه المنزلة أهل الأخبار أيضاً لأخذهم منها . ونحن لا نعرف الأسباب التي جعلت التوراة تعدّه أحسن أولاد (إسماعيل) أراعت في ذلك بعد القبيلة ، أم راعت قربها من العبرانيين ، أم ضخامتها وكثرة عددها بالقياس الى القبائل الإسماعيلية الأخرى ، أم أموراً أخرى جعلت العبرانيين ينظرون اليهم على أنهم أقدم تلك القبائل ؟ فليس في التوراة قواعد ثابتة تمشى عليها كتبة العهد القديم في تدوين الأنساب .

ويعرف (نبايوت) بـ (نابت) و (نبت) عند الأخباريين . ومنه ومن قيدر، نشر الله العرب ، على رأي أهل الأخبار[2] . وقد جعل بعض الأخباريين نابتاً والداً لـ (يشجب)[3] ، مع أن (يشجب) هو ابن (يعرب) عند الأكثرين .

وقد ورد اسم (نبايوت) مع اسم (قيدار) في النصوص الآشورية ؛ ويظهر أنهم كانوا أقوياء كثيري العدد . ويدل ورود اسمهم مع (قيدار) في التوراة في النصوص الآشورية على أنهم كانوا متجاورين . ولم تعين التوراة مواضع سكناهم ، ولكن ورود اسمهم في رأس قائمة الإسماعيليين واقترانه بالأدوميين عن طريق المصاهرة ووقوف العبرانيين على أخبارهم ، يدل كله على أنهم كانوا يقيمون في المناطق الواقعة في جنوب شرقي فلسطين وفي الأقسام الجنوبية الشرقية من بادية الشام[4] .

وقد ذهب (كلاسر) إلى أن (نبايوت) (مشيخة) أو مملكة حكمت في (القصيم) ، وقد كانت معاصرة لمملكة (عريبي) ، وكانت لا تزال مستقلة في أيام الفرس[5] .

---

١ Enc. Brit. Vol. 12, P. 706.
٢ الطبري (٣١٤/١) .
٣ ابن هشام (٥/١) .
٤ التكوين ، الاصحاح ٢٨ ، الاية ٩ .
٥ Glaser, Skizze, 2, S. 266. ff. Schrader, KAT, S. 151, Hommel, AHT, 275.

وقد ظن بعض العلماء انهم (النبط)[1] ، ذهبوا الى ذلك من تشابه (نبايوت) (Nabaiot) و (نبط) (Nabat) ، غير ان هذا رأي يعارضه كثير من علماء التوراة[2] .

وقد كان بين الأوس قوم يقال لهم (النبيت) ، افتخر بهم الشاعر (قيس ابن الخطيم) من شعراء الجاهلية ، وقد قتل قبل الهجرة ، ومدحهم ، ووصفهم بالشدة والبأس[3] ، كما كان في (إياد) قوم يقال لهم (النبيت)[4] .

وكان نبيت الأوس يتألفون من (ظفر) رهط الشاعر قيس بن الخطيم،ومن عبد الأشهل ، وحارثة[5] . وقد وقعت بينها حروب ومعارك، فانضمت حارثة الى الخزرج ، وتحالفت معها ، ودخلت فيها . وأما ظفر وبنو عبد الأشهل ، فقد اضطروا أخيراً الى ترك ديارهم الى مكة للتحالف معهم ، أو مع اليمن ، أو الغساسنة أو المناذرة ، لمساعدتهم على الخزرج ، ولاسترداد ملكهم[6] . والظاهر انهم كانوا قديماً من القبائل القوية ، وكانت في الحرار الشرقية ، ثم أفل نجمها، وتشتت شملها بسبب الحروب التي وقعت بين بطونها. ولعلها من القبائل التي كانت تقيم في الشمال ، في العربية الحجرية أو العربية الصحراوية،ثم اضطرت الى الهجرة الى الجنوب والاستيطان في مناطق الحرار . والظاهر انها كانت على اتصال باليهود، وقد تحالف معها يهود خيبر .

وقد ورد اسم (قيدار) في النصوص الآشورية ، ورد على هذه الصورة : (قِدرو) (Kidru) و (قَدرو) (Kadru)[7] ، كما ورد في المؤلفات

---

١ النبط ــ النبيط ــ الانباط ــ نبطي ــ نبط ــ قال ابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط ــ ، تاج العروس (٥/٢٣٩) .

٢ Enc. Bibl. P. 2213, Hastings, P. 648. f.

٣ ويثرب تعلم ان النبيت ... رأس بيثرب ميزانها
وقد علموا ان مافلهم ... حديد النبيت واعيانها
فلا اعرفنكم بعد عز وثروة ... يقال الا تلك النبيت عساكر
شعر قيس (ص ٩ ، ١٠ ، ٣٨) .

٤ شعر قيس (ص ٩) ، « والنبيت أبو حي ، وفي الصحاح حي من اليمن » ، اللسان (٢/٤٠٢) ، تاج العروس (١/٥٨٩) .

٥ شعر قيس (ص XX) ، القسم الالماني

٦ شعر قيس (ص XX II) ، القسم الالماني .

٧ Schrader, KGF. 101, Kat. 147, Delitzch, Wo lag das Paradies? S. 299.

(الكلاسيكية) ، فقال لهم (بلينيوس) (Pliny) (قدراي) (Cedrei) ، وذكر انهم قبيلة عربية تقيم على مقربة من النبط[1] . وقد حاربهم (آشور بنبال) ، وكان ملك (قيدار) في ذلك العهد، ملك عرف باسم (أو أيطع) (U Aite') ابن (خزاعيل) (Hazael) [2] ، وقد ذكرهم (آشور بنبال) مع (عربي) (أربي) ، كما ذكرهم (حزقيال) مع العرب (العرب وكل رؤساء قيدار)[3] ، مما يدل على ان مواطن (قيدار) كانت تجاور العرب ، ويراد بالعرب هنا ، الأعراب . وهو ما يتفق مع ما جاء في نص (آشور بنبال) كل الاتفاق . وذكروا بعد (نبايوت) في التوراة ، مما يدل على انهم كانوا يقطنون في جوارهم، كما ذكروا مع (ممالك حاصور) التي ضربها (نبوخذ نصر) (بختنصر)[4]. وقد نكّل (بختنصر) بالقيداريين كذلك ، وخرب بلادهم وأخذ غنائم كثيرة منهم، واستولى على ما وقع في أيدي جيشه من أموالهم وخيامهم وغنمهم وجمالهم وقد ورد وصف ذلك في سفر (أرمياء)[5] .

ويظهر من التوزاة أن القيداريين كانوا أعراباً يعيشون في الخيام ، عيشة أهل البداوة[6] ، وقد وصفت خيامهم بأنها خيام سود (أنا سوداء وجميلة يا بنات اورشليم ، كخيام قيدار، كشقق سليمان)[7] . والخيام السود هي بيوت أهل الوبر . وكانوا يعتنون بتربية المواشي ، وقد اشتهروا بأن فيهم رعاة يملكون ماشية كثيرة[8] . إلا أن منهم من كان متحضراً سكن القرى والمدن[9] . ونجد (أشعياء) يتنبأ بإفناء (مجد قيدار . وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار)[10] مما يدل على ان القيداريين كانوا قوة وعدداً ضخماً ، فيهم جماعة مهرت برمي السهام . ويتبين من (المزامير) انهم غزاة ، وحياتهم حياة غزو ، لا يعرفون السلام

---

١ Pliny, 5, 21, 65, Enc. Bibli. P. 2213, Forster Vol. I, 238 ff.
٢ Musil Deserta P. 485.
٣ حزقيال ، اصحاح ٢٧ ، الاية ٢١
٤ ارمياء ، الاصحاح ٤٩ ، الاية ٢٨
٥ ارمياء ، الاصحاح ٤٩ ، الاية ٢٨ وما بعدها
٦ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠) .
٧ نشيد الاناشيد ، الاصحاح الاول ، الاية ٥ .
٨ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠) .
٩ اشعياء ، الاصحاح ٤٢ ، الاية ١١ ، قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠)
١٠ اشعياء ، الاصحاح ٢١ ، الاية ١٦ وما بعدها ، Hastings, P. 512.

ولا الاستقرار[1] .

وقد ذكروا مع العرب في جملة من تاجر مع العبرانيين . تاجروا معهم (بالخرفان والكباش والأعتدة[2]) . وكانوا مثل قبائل العرب الأخرى على احتكاك بالعبرانيين ، يتاجرون معهم تارة ، ويخاصمونهم تارة أخرى ، ويظهر أنهم كانوا على عداء شديد معهم ، وخصومة منكرة في أيام (أشعياء) و (أرمياء) ، كما يتبين ذلك من الهجوم العنيف الموجه اليهم في سفريهما ومن فرح العبرانيين من النكبات التي حلت بهم ، ولا سيما انتقام (بختنصر) منهم . ويظهر أنه غزاهم ، لأنهم كانوا يتحرشون بالبابليين في أثناء مرورهم بالبادية الى فلسطين ، مما حمل (بختنصر) على الانتقام منهم ومن قبائل أخرى كانت ضاربة في البادية وفي الطرق المؤدية الى بلاد الشام .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل دعوه (قدار بن سالف) ، زعموا أنه كان يدعى (أحيمر ثمود)[3] ، وأنه هو الذي عقر الناقة ، ناقة النبي صالح[4] ، وذكروا أن (قيدار بن إسماعيل) هو أبو العرب ، وزعم بعضهم أنه كان نبياً ، وزعم أن له قبراً ومشهداً يزار قريباً من السلطانية بالعجم ، وأعقب من ولده (حمل بن قيذار) ، وله ابن يقال له (سواري) . وقد ذكر أهل الأخبار أن (كعب الأحبار) ، قال : (قال الله لرومية : إني أقسم بعزتي لأهبن سبيك لبني قاذر ، أي بني إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، يريد العرب)[5] واذا صح أن هذا الكلام هو من كلام (كعب) حقاً ، فإنه يدل على تحريض (كعب) للمسلمين على اكتساح امبراطورية الروم ، وقد كان اليهود يكرهون الروم ، لما أوقعوه بهم من ظلم ، وأنه كان يعبر عن الحالة التي كانت بين الروم والعرب في ذلك الزمان . وليس الكلام المذكور ، كلام الله في التوراة

---

١ المزامير ، المزمور ١٢٠ ، الاية ٥ وما بعدها .

٢ حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٢١

٣ الطبري (٣١٤/١) « دار المعارف » ، « قيذر » منتخبات (ص ٨٤) مروج (٣٩٤/١) ، ابن خلدون (٢٩٨/٢) ، تاج العروس (٤٨٣/٣ فما بعدها) .

٤ تاج العروس (٤٨٣/٣) .

٥ تاج العروس (٤٨٥/٣) ، عن « قيدار » : الطبري (١٩٣/٢) ، « قيدر » ، منتخبات (ص ٨٤) ، مروج (٣٩٤/١) ، ابن خلدون (٢٩٨/٢)

وإنما هو كلام (كعب) . ولكعب أمور عديدة من هـذا القبيل ، إذ يضع كلاماً يزعم أنه من كلام الله المذكور في الكتب المنزلة .

وأما (أدبئيل) (Adbeel) ، فكناية عن قبيلة عربية أخرى من القبائل الإسماعيلية ، يرى بعض علماء التوراة أنها عاشت في جنوب غربي البحر الميت[1]. ويظن أنها قبيلة (ادب ايله) (Idiba'ila) (Dibi'ila) (ادبئيله) (ادبعيله) (دبئيله) (وبعيلة) المذكورة في كتابة من كتابات الملك (تغلا تبلسر الثالث)[2]. وقد ذكر هذا الملك أنه عين نائباً عنه،أو (مندوباً سامياً) (قيبو) (Kepu) على خمسة عشر موضعـاً ، وكان اسم هذا المندوب (ادب ال) (أدب أبل) (أدبئيل) (Idibi'il) ، وهو سيد قبيلة عرفت بهذا الاسم . والظاهر أنـه فوّض اليه أمر حماية الحدود والمحافظة عليها من الغزو . وتقع أرض هذه القبيلة على مقربة من الحدود المصرية وفي الجنوب من غزة[3] . وكانت هذه القبيلة لا تزال موجودة في أيام المؤرخ اليهودي (يوسف فلافيوس)[4] .

ويلي (أدبئيل) (أدب ال) (ادب ايل) في تسلسل أولاد إسماعيـل ، مبسام (Mibsam) ، وقد سمي في بعض الكتب العربية (ميشا) ، ولا نعرف من أمر هذه القبيلة شيئاً[5] .

وأما (مشماع) ، وقد سمي (منسى) و (منشى) و (مسمع) و (مشماعة) في بعض الكتب العربية ، فلا نعرف من أمره شيئاً . ويتصور بعض العلماء أن لهذا الاسم علاقـة بقبيلة (بني مسماع) أو (جبل مسماع) (جبل مسمع) قرب تيماء[6] .

ورأى (فورستر) أن (مشماع) هي قبيلـة (Masmaos) التي ذكرها (يوسفوس) ، على أنها من القبائل العربية التي كانت تعيش في أيامه[7] . ويرى

---

١ Enc. Bibli. P. 2213.

٢ « تغلاتبليزر الرابع » عنـد « الويس موسل » ، Musil, Hegaz, P. 291, Deserta, P. 278. f. Hastings, P. 12, Delitzch, Paradies, S. 301, Enc. Bibli. P. 65.

٣ Schrader, KAT. S. 58.

٤ Forster, I, P., 266.

٥ Forster, Vol. I, P. 273, Enc. Bibli. P. 3067, Musil, Deserta, P. 479.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٤/٢) ، Enc. Bibli. P. 3154.

٧ Forster, Vol. I, P. 274.

(فورستر) أيضاً أن قبيلة (Masaemanes) التي ذكرها (بطلميوس) هي هذه القبيلة كذلك[1] . وهذا الاسم قريب من اسم (ماء السماء) .

و (دومة) هو (دوما) في بعض الكتب العربية ، وهو كناية عن موضع (دومة الجندل)[2] ، وقد عرف بـ (دوماتا) (Domatha) عند (بلينيوس)[3] وبـ (Doumaetha) (Dumaetha) عند (بطلميوس)[4] ، وبـ (Adumu) (ادومو) في الكتابات الآشورية[5] ، وهو كناية عن موضع وعن اسم قبيلة عربية . فقد ورد أن شعباً اسمه (Dumathii) كان يقدم قرباناً ، (ولداً) في كل سنة الى آلهته ، ويدفن ذلك القربان في معبد الإلـه . ويراد به شعب (دومة الجندل)[6] .

وقد ورد اسم (مسا) (Massa) في النصوص الآشورية مقروناً بـ (تيما) (تيماء).ويرى بعض العلماء أنه كناية عن قبيلة كانت منازلها في الشرق والجنوب الشرقي من (موآب)[7] . ويرى بعض آخر أن مواطنها في الأرضين الجنوبية من وادي السرحان ، وفي غرب منازل (عربيي) (اريبي)[8] .

وجاء في رسالة أرسلها أحد (المقيمين) الآشوريين الى ملك آشوري لم يرد اسمه في الكتابة أن (ملك قمرو) (مالك قمرو)[9] ابن (عميطع) سيد قبيلة (مسئا) (Mas'a) غزا قبيلة (Naba'ati) ، وقتل عدداً من أتباعها[10] . والظاهر أن هذه القبيلة ، هي القبيلة المذكورة في التوراة .

---

١ Forster, Vol. I, P. 274.

٢ « ودما ، وهو دوما ، وبه سميت دومة الجندل » ، ابن سعد ، طبقات (حـ ١ ق ١ ، ص ٢٥) .

٣ Pliny, 6, 28, &, 157, Forster, Vol., I, P. 281.

٤ Forster, Vol. I, P. 281.

٥ Enc. Bibli. P. 1142, 2213, Musil, Deserta, P., 480.

٦ Hastings, A Dictionary of the Bible, Vol. I ,P. 630 Burckhardt, Travels in Syria, 662, Ritter, Erdkunde von Arabien, II, S. 360. ff.

٧ Hastings, P. 591, Enc. Bibli. P. 2213, 2972, Musil, Hegaz, P. 288.

٨ Musil, Deserta, P. 478.

٩ مالك قمر ــ ملك قمر ــ ملك القمر ــ مالك القمر ــ ملك امره ــ وما شابه ذلك من اسماء

١٠ Musil, Deserta, P. 478, Delitzch, Paradise, P., 302, Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, Vol. 4, P. 1. 54, No. I.

وأما (حدد) أو (حدار)، كما دُوِّن في سفر التكوين[1]، فإنه (أدد) عند بعض أهل الأخبار[2]. وقد تكون لاسمه علاقة باسم الإلَه (حدد) أو (أدد) المعبود الشهير الذي تعبد له الآراميون وقبائل عربية كثيرة، وكذلك الآشوريون والبابليون[3]. ولا نعرف من أمر قبيلة (حدد) هذه شيئاً يذكر في الزمن الحاضر.

وأما (تيما)، فإنه (طما) في الكتب العربية، وهو كناية عن (تيماء)[4]، وسوف أتحدث عنها. وأما (يطور)، وهو (وطور) وما أشبه ذلك في الكتب العربية، فقبيلة عرفت بـ (Ituraea) في المؤلفات اليونانية واللاتينية[5]. وقد حاربت العبرانيين، وكانت تقيم شرقي نهر الأردن في أيام الملك (شاؤول): ويظهر أنها هاجرت نحو الشمال، فسكنت في الأقسام الجنوبية من لبنان وفي الحافات الشرقية من جبال لبنان. وقد أجبر الملك اليهودي (ارسطوبولس الأول) (Aristobulus I) (١٠٧ قبل الميلاد) قسماً من اليطوريين على التهود. وكان قد استولى على أرضهم. وكان لهم ملوك. وفي أيام ملكهم (سوهومس) (سوحومس) (سوخومس) (Sohumus) أدخلت أرضهم في مقاطعة (سورية) وذلك في سنة (٥٠) ب. م. وقد كابدت دمشق مصائب شديدة من غزوات اليطوريين[6].

وكانت مواطن اليطوريين في ما بين (اللجاة) (Trachonitis) و(الجليل)، وعرفت بـ (جدورا)، وبـ (ايطورية)[7]. وقد عرفوا بمهارتهم في الرماية. وقد ذكرهم (سترابو)[8]. والظاهر أن مواطنهم الأصلية كانت في البادية، ومنها جاؤوا الى (ايطورية) ثم ذهبوا الى الأقسام الجنوبية من لبنان والى سهل البقاع. وقد ضيق عليهم الرومان في حوالي الميلاد وأجبروا بعضهم على الرجوع الى البادية

---

١ الاصحاح ٢٥، الاية ١٥، قاموس الكتاب المقدس (١/٣٦٠)
٢ الطبري (١/٣١٤).
٣ Hastings, P. 323.
٤ Enc. Bibli. P. 2213, Forster, Vol. I, P. 310.
٥ Enc. Bibli. 2213, Josephus, Anti. XIII, II, 3.
٦ Enc. Bibli. P. 2213.
٧ قاموس الكتاب المقدس (٢/٥١٣)
٨ Strabo, XVI, II, 10.

ويظهر أن سبب ذلك هو عدم خضوعهم للسلطات وغاراتهم على الحضر . وقد قتل(مارقوس أنطونيوس) (Marcus Antonius) ،ملك اليطوريين في سنة (٣٤)ق.م، وكان يدعى (ليسانياس (Lysanias)[١] ، وتوفى (زنودوروس)(Zenodorus) الذي خلفه في سنة (٢٠) ق. م، واستولى(هيرود الكبير) (Herodes the Great) على قسم من أرض اليطوريين . ولما قسمت مملكة (هيرود) ، صارت هذه الأرضون من نصيب (فيليب)[٢] .

وفي أيام (لوقا) ، كانت (Ituraea) منطقة ، تقع على ما يظهر في شمال شرقي (بحر الجليل)[٣] . ويخترق الطريق الروماني الذي عمله الرومان من (دمشق) الى (طبرية) (طبريا)[٤] هذه المنطقة .

وقد كوّن اليطوريون لهم إمارة أو مملكة في (البقاع) ، كان حكامها رجال دين أي كهّاناً وملوكاً في آن واحد. وقد عرفنا منهم رجلاً اسمه (Mennaios) وهو اسم قريب من الأسماء العربية ، فلعله (معن) . أما ابنه فقد سمى نفسه باسم يوناني ، هو (بطلميوس) (Ptolemaios) . وكان لهذا الملك ، أي (بطلميوس) ، ولدان ، هما : (Lysanias) ، وقد تولى الملك من بعد والده و (فيليب) (Philippion) . وأما (زينودور) (Zenodor) ، فقد خلف(Lysanias) وأما (Sohaimos) (Sohumus) ، فإنه اسم قريب من (سحيم) ومن (سهيم) و (سخيم) و (سهم) ، وأمثال ذلك ، وهي أسماء عربية معروفة[٥] .

ويظهر أن ارتحال (اليطوريين) من الأقسام الشرقية من الأردن نحو الشمال، نحو دمشق ، ثم سهل البقاع حتى ساحل البحر الأبيض ، كان قبل القرن الثاني قبل الميلاد . ولعلهم هم العرب الذين ذكر أن الاسكندر الكبير كان قد حاربهم بعد حصاره لمدينة (صور) (Tyros)[٦] .

---

١ Dio Casius, XIIX, 32, Hastings, P. 418.

٢ Hastings, P. 418, Josephus, Anti. XV, X, 3.

٣ Hastings, P. 418.

٤ The Bible Dictionary, I, P. 573.

٥ Die Araber in der Alten Welt, I, S. 279, 315, M. Lidzbarski Ephemeris, I, (1900-1902), 335.

٦ Die Araber in der Alten Welt, I, S. 170, 179.

وقد كوّن الرومان فرقاً محاربة من (اليطوريين) ، اشتركت معهم في الحروب. وقد امتازت بعض هذه الفرق في حذقها بالرمي . وكوّن (مارك أنتوني) (Marcus Antonius) حرساً خاصاً منهم ، أشير اليهم في الموارد اليونانية واللاتينية[1] .

و (نافش) (Naphish) ، هو (نفيس) عند الأخباريين[2] . ويرى بعض علماء التوراة احتمال كون (بنو نفسيم) (Naphisim) المذكورين في سفر (عزرا) هم (نافش) هؤلاء[3] .

وأما (قدمة) ، فهو (قيدمان) و (قيدما) وما شاكل ذلك في المؤلفات العربية[3] ، ولا نعرف من أمرهم شيئاً يذكر في الزمان الحاضر ، ولعلهم (القدمونيين) الذين أدخلت أرضهم في جملة (الأرض الموعودة) المذكورة في التوراة[4] . وكانت مواطنهم عند (البحر الميت) . ومن العلماء من يظن أن لهم صلة بـ (بني قديم (Bene Kedem) ، أي (أبناء الشرق)[5] . وذهب (فورستر) ، الى الى احتمال كون (قدمة) موضع (رأس كاظمة) على الخليج[6] . ولما كانت (قدمة)[7] من القبائل الإسماعيلية ، وقد ذكرت مع القبائل الإسماعيلية في التوراة ، ومواطنها كلها لا تبعد كثيراً عن فلسطين ، فإني أرى أن مواطن هذه القبيلة يجب أن تكون أيضاً في هذه المواضع ، أي في مكان لا يبعد كثيراً عن فلسطين.

والغالب على أبناء اسماعيل البداوة ، أي حياة التنقل والغزو والرماية ، لذلك كانت ملاحظة التوراة عن اسماعيل من أنه سينشأ رامياً ، ملاحظة حسنة ، تدل على تبصر بأمور (الإشماعيليين) الذين كانوا يقومون بالغزو ويرمون بالسهام .

أما المجموعة الثالثة من مجموعات أنساب العرب المذكورة في التورة ، فإنها مجموعة قبائل نسبت الى (قطورة) زوج (ابراهيم) . وقد ذكرت التوراة

---

١ Hastings, A. Dictionary, II, P. 521.
٢ الطبري (٣١٤/١) .
٣ عزرا ، الاصحاح الثاني ، الآية ٥٠ ، Hastings, P. 645, Enc. Bibli. P. 3331
٤ الطبري ، (١٦١/١) ، (٣١٤/١) ، « دار المعارف » ، ابن سعد ، الطبقات (حـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٥)
٥ التكوين ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ١٩ .
٦ Hastings, P. 512, Enc. Bibli. P. 3331.
٧ Forster, Vol. I, P. 313.

انها ولدت له (زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحاً)[1]. وولد يقشان : شبا ، وددان . وكان بنو ددان : أشوريم ، ولطوشيم ، ولأميم. وبنو مديان : عيفة ، وعفر ، وحنوك ، وأبيداع ، والدعة[2] . ويبلغ عدد القبائل المنحدرة من (قطورة) ست عشرة قبيلة[3] .

فـ (قطورة) اذن هي مجموعة قبائل مثل الإسماعيليين واليقطانيين ، وهي تتفق مع القبائل الإسماعيلية في أنها تنحدر من صلب ابراهيم ، وهي من هذه الناحية أقدم عهداً من القبائل الإسماعيلية ، لأن والد هذه القبائل هو ابراهيم . أما والد القبائل الإسماعيلية ، فهو اسماعيل ، وهو ابن ابراهيم .

والأسماء المذكورة كناية عن قبائل عربية ، ألّفت مجموعة خاصة، كان حلفاً على ما يظهر تألف من قبائل رجعت نسبها الى أصل واحد ، هو (قطورة) . انتشرت قبائله في الأرضين الواقعة بين القبائل العربية الإشماعيلية وبين القبائل اليقطانية . وتشير قصة زواج (ابراهيم) بقطورة الى صلة القطوريين بالإشماعيليين، والإشماعيليون من صلب اسماعيل بن ابراهيم ، ويؤخذ على أنه كناية عن اختلاط قبائل المجموعتين ، أي الحلفين بتعبير أصح . ووجود أسماء بعض قبائل يقطانية وبعض قبائل كوشية في قائمة أسماء أبناء قطورة ، هو أيضاً دليل على وجود صلات بين هذه الاحلاف الثلاثة وعلى تداخل القبائل واختلاطها بعضها ببعض .

أما أولاد (قطورا) عند أهل الأخبار ، فهم : يقسان ، وزمران ، ومديان ، ويسبق ، وسوح ، وبسر على رواية[4] ، ومدن ومدين ويقسان وزمران ويسبق وسوح على رواية أخرى[5] . ومدن ومدين ويقشان ، وزمران ، وأشبق ، وشوخ[6]. وقد أخذت هذه الأسماء كما نرى من التوراة ، الا ان من أخذها حرّف فيها بعض التحريف ، وخالف الترتيب الموجود للأسماء في التوراة فقدّم وأخر ، وأضاف اسماً جديداً هو (بسر) على الرواية الأولى ، وضعه في مكان (مدان) ،

---

١ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الاية ١ فما بعدها .
٢ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الاية ١ فما بعدها
٣ Hastings, P. 514.
٤ الطبري (١/ ١٥٩) ، (١/٣٠٩) ، « دار المعارف » .
٥ الطبري (١/١٦٠) .
٦ ابن سعد ، الطبقات (ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٢) .

الا أن الطابع التوراتي ظل بارزاً واضحاً عليها . فلا حاجة بنا الى ارجاع كل اسم منها الى الاسم المقابل له في التوراة .

وزوّج أهل الأخبار (يقشان) (يقسان) ، من امرأة سموها (رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوذان بن جرهم بن يقطن بن عابر) ، وأولدوا لهـا ولداً دعوه (البربر) ، قالوا عنه إنه جدّ البربر[1] . وهو زواج لا تعرف عنه التوراة شيئاً ، وأما الزوج (رعوة بنت زمر بن يقطن) ، فليس لها ذكر فيها أيضاً، وأما نسبها ، فهو نسب اختّرعه من اختّرعها ، وليس له لذلك ذكر في التوراة. وأما (بربر) ابن (رعوة) فهو من صنع صانع أخبار أمه . وليس لـه ذكرٌ ما في التوراة .

ولفظة (بربر) في الكتاب المقدس لفظة تعني (الغريب) ، وهي من أصل يوناني ، وقد أطلقها اليونان على الغرباء الناطقين بلغة أخرى غير اللغة اليونانية[2] . ولم تستعمل علماً عـلى جنس معين له جد وأب ونسل . ولذلك ، فإن ربط نسب (البربر) ، وهم سكان المناطق المعروفة من شمال إفريقية بـ (رعوة) وبقحطان ، هو من صنع (أهل الأخبار) ، وقـد وقع في الإسلام بالطبع ، وبعد الفتح الإسلامي لتلك المناطق ، لغايات سياسية ، على نحو مـا حدث من ربط نسب الفرس واليونان والأكراد بالعرب .

ولم يشر الأخباريون وأهـل الأنساب الى (القطوريين) كطبقة خاصة مـن العرب . وقد أشار بعضهم الى قبيلة عربية عرفت بـ (قطورة) ، ذكروا أنها عاشت مع (جرهم) بمكة[3] . ولعل لتشتت شمل القبائل القطورية ودخولها في القبائل الأخرى : قحطانية وعدنانية ، وفي جهل أهل الكتاب في ذلك العهد ، أي أيام لجوء أهل الأخبار اليهم يسألونهم عن الأنساب ، دخلا في هذا الإهمال.

ويلاحظ أن بين أسماء قبائل (قطورة) أسماء وردت في جدول أنساب قبائل (يقطان) ، وفي جدول أسماء أبنـاء (كوش) . ويفسر بعض العلـماء ذلك باتصال القبائل القطورية بالقبائل اليقطانية وبالقبائل الكوشية وباختلاطها بها وتلاحمها

---

١ الطبري (٣٠٩/١) ، « دار المعارف » .
٢ قاموس الكتاب المقدس (٢١٧/١) . Hastings, P. 84.
٣ Hastings, P. 514, Enc. Bibli. P. 2660, Ritter, Erdkunde, 12, 19.

معها ، ونزولهـا بينها ، فعدّ كتبة (أسفار التكوين) ذلك نسباً ، فأدخلوا القسم الذي دخل في اليقطانيين من اليقطانيين ، والقسم الذي نزل بين الكوشيين من الكوشيين ، ومن ثمّ صار ذلك نسباً ورابطة دم[1] .

وزوج إبراهيم (قطورة)، معروفة عند أهل الأخبار . وقد دعوها بـ(قطوراء) وبـ (قطورا) وبـ (قنطوراء)[2] . ومعنى اللفظة في اللغة العبرانية (البخور) . وقد تزوجها إبراهيم بعد وفاة (سارة)[3] . ولكنهم كعادتهم في معظم الأخبار التي أخذوها من أهل الكتاب ، خلطوا في أخبارها وحرّفوا فيها ، فجعلوا لها نسباً ، ولم يرد له ذكر في التوراة ، اختلفوا فيه أيضاً ، فصار (يقطن) والد (قطورة) في خبر[4] ، وصار (يكفور) أو (مفطور) هو والدها في خبر آخر ، وصار (افراهم بن أرغو بن فالغ) هو والدها في خبر آخر أيضاً[5] . وجُعلت عربية من العرب : تتكلم بهذا اللسان العربي المعروف . وقيل إن اسمها (انموتا) أو (انمتلى)[6]، وصيرت (قطورا بنت يقطن) ، ولكنهم أخرجوها أحياناً من العرب ، وأضافوهـا الى الكنعانيين[7] ، كما جعلوها (قطورا بنت مقطور) من العرب العاربة[8] .

ولم يفطن أهل الأخبـار الى خلطهم في هذا النسب والى سكوت التوراة عن نسبها ، ولا أدري من أين جاؤوا بـ (يكفور) ، أو (مفطور)، وكيف يجوز أن تكون (قطوراء) من نسل (افراهم بن أرغو بن فالخ) . فـ (افراهم)، هو (ابراهيم) ، وهو زوج (قطورة) لا والدهـا أو جدّها أو جدّ جدّها أو ما شاكل ذلك . ثم إن نسب (إبراهيم) على هذه الصورة هو نسب مغلوط، يدل على جهل ، فإنه (إبراهيم) وهو (ابرام) في التوراة ، هو ابن (تارح)

---

١ Musil, Hegaz, P. 287.

٢ القاموس (١٢٣/٢) ، اللسان (٤٢٢/٦) .

٣ التكوين ، الاصحاح ٢٥ ، الاية ١ ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول الاية ٣٢

٤ الطبري (١٥٩/١) ، الكامل (٤٨/١) .

٥ الطبري (٥٩/١) ، الكامل (٤٨/١) ، ابن سعد ، الطبقات (حـ١ ، ق١ ، ص ٢٢)

٦ الطبري (١٥٩/١) .

٧ الطبري (٣٠٩/١) ، « دار المعارف » .

٨ الطبري (٣١١/١) ، « دار المعارف »

و (تارح) هو ابن (ناحور) و (ناحور) ابن (سروج) وهـذا هو ابن (رعو) الذي صار (ارغو) عند الإسلاميين . و (رعو) هو ابن (فالج) الذي صير (فالغ) عند أهل الأخبار . فترى من ذلك كيف خلط أهل الأخبار، وكيف كان علمهم بالقصص المأخوذ من التوراة . وكل هذا الجهل ناشيء من اعتمادهم على الأخذ شفاهـاً من أهل الكتاب ، ومن عـدم رجوعهم الى نص التوراة[1] .

ويلاحظ ان أكثر الذين قالوا في (قطورة) (قطوراء) و (قطورا) ، ذكروا أولادها على نحو ما ورد في التوراة . أما الذين قالوا (قنطوراء) ، فقد نسب أكثرهم اليها الترك والصين ، وأضاف بعضهم اليهـا السودان في بعض الأحيان[2] . وهو نسب تكرم به عليها أهل الأنساب والأخبار ، فليس في التوراة ذكر لهؤلاء الأولاد النجباء . ولعل إلحاق هؤلاء بـ (قنطوراء) انما كان لغرض سياسي ، هو إدماج نسب الترك والصين بالعرب ، ترضية لهم ، كما فعلوا بالنسبة الى شعوب أعجمية أخرى . ويرد اسم (بنو قنطوراء) في الملاحم والتنبؤات ، فرووا أحاديث تدل على شعور الخلافة الإسلامية بالخطر القادم من الترك والصين، وبأن النسب لم ينفع شيئاً معهم ، اذ ورد : « يوشك بنو قنطوراء أن يخرجوكم من أرض البصرة » ، وورد : « اذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء »[3] .

وزعم أهل الأخبار ان ابراهيم تزوج من زوج أخرى ، كانت من العرب أيضاً ، أسموها (حجور بنت أرهير) ، ولدت له خمسة بنـين : (كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس[4]) . وليس في التوراة ذكر لهذه الزوج العربية ، فليس لها نسل فيها بالطبـع . فالأولاد هم من نسل مخيلـة أصحاب الأخبار، جمعوها من أسماء توراتية مرت وتمر علينا في مواضع من هذا الكتاب ، وضبطوها بعدد ، لتظهر بمظهر خبر صحيح مضبوط .

ومن الأخباريين من أحجم عن تعيين هوية زوج ابراهيم ، فلم يذكروا شيئاً

---

١ راجع نسب ابراهيم في التكوين ، الاصحاح الحادي عشر ، الاية ١٥ فما بعدها .
٢ القاموس (١٢٣/٢) ، اللسان (٤٢٢/٦)
٣ اللسان (٤٢٢/٦) .
٤ الطبري (١٦٠/١) ، (٣١١/١) ، « طبعة دار المعارف » ، الكامل لابن الاثيـر (٤٨/١) ، ابن سعد ، الطبقات (حـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٢) .

عن عروبتها أو عن أبيها وجدّها، بل اكتفوا بذكر اسمها وحده، فدعوه (حجوني)، وقالوا : إنها ولدت له سبعة نفر ، هم : نافس ، ومدين ، وكيشان، وشروخ، وأميم ، ولوط ، ويقشان[1] .

ومعارفنا بالقبائل القطورية لا تختلف عن معارفنا بالقبائل الإسماعيلية واليقطانية من حيث الضآلة والضحالة . فهي قد لا تزيد في بعض الأحيان على الاسم ، ذلك لأن التوراة لم تذكر شيئاً عنها ، ولأن المفسرين والأحبار الذين شرحوا التوراة ، لم يذكروا شيئاً عن تلك القبائل ، إما جهلاً بها ، وإما لعدم وجود ميل بين العبرانيين الى الوقوف على أحوال تلك القبائل التي ذكرت في التوراة لمناسبة من المناسبات . ولهذا ضحل علمنا بها أيضاً . وليس أمامنا غير انتظار الحظ ، فقد يكتشف العلماء موارد جديدة قد تساعدنا في الوقوف على أولئك الأقوام .

فزمران مثلاً ، لا نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد ورد لدى (بلينيوس) اسم قبيلة عربية دعاها (Zamareni) ، وهذا الاسم قريب من (زمران) ، لهذا رأى بعض العلماء احتمال وجود صلة باسم هذه القبيلة القطورية[2] ، كما ورد اسم موضع يقال له (زبرم) (Zabram) يقع غرب مكة ، يرى بعض الباحثين احتمال وجود صلة له بتلك القبيلة[3] . غير أن من الصعب الحكم أن أحد هذين الموضعين هو (زمران)[4] .

وأولد أهل الأخبار لـ (زمران) ولداً سموه : (المزامير) ، وهو في نظرهم جدّ (المزامير الذين لا يعلمون)[5] . وليس في التوراة ولد لـ (زمران) اسمه (المزامير) صفتهم أنهم لا يعلمون . وليس للفظة أية صلة بـ (المزامير) التي هي أغان أو موشحات ترتل على صوت المزمار لتمجيد الله . وتقسم الى خمسة كتب ، يختم كل منها بتسبيحة ، وتكرر لفظة (آمين) مرتين ، أضافها

---

١ الطبري (١/١٦٠) ، (١/٣١١) ، « دار المعارف » ، الكامل ، لابن الاثير (١/٤٨) ، ابن سعد ، الطبقات (حـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٢) .

٢ Enc. Bibli. P. 5419, Pliny, 26, 32, (Grotius).

٣ Enc. Bibli. P. 5419.

٤ Glaser, Skizze, 2, S. 451.

٥ الطبري (١/١٥٩) ، (١/٣٠٩) ، « دار المعارف » .

جامعو المزامير لا مؤلفوها[1] . وهي من لفظة (مزمور) (Mizmor) في العبرانية و (Mazmor) في السريانية و (Mazmur) في الاثيوبية ، وتقابل (الزبور) و (الزبر) في القرآن الكريم[2] .

وقد ذكر (ابن النديم) على لسان (أحمد بن عبدالله بن سلام) من مترجمي التوراة والإنجيل ، أن المزامير هي (الزبور) ، وهي خمسون ومئة مزمور[3] . وهو عدد صحيح مضبوط ، يدل على علمه بعدد المزامير ، لأن ما ذكره هو عددها الصحيح .

والعلماء مختلفون فيما بينهم في المعنى (الاثنولوجي) لكلمة (زمران) . ويرى بعضهم أنها من (زمر) ومعناها (تيس جبلي) ، ويقولون إن بني (زمران) اتخذوا ذلك الحيوان (طوطماً) لهم ، ولذلك عرفوا به[4] .

أما (يقشان) ، فيرى (كلاسر) أنه موضع (وقشة) ، وهو مكان من السراة في عسير[5] . ورأى (أوسيندر) انه (يقش) في اليمن[6] . وذكر (الهمداني) اسم قبيلة سمّاها (بني وقشة) من قبائل (الجنب)[7] . وذهب فريق من العلماء الى أن اللفظة هي تحريف للفظة (يقطان)[8] .

وقد ذكر أهل الأخبار أن (بني يقسان) ، أي (بني يقشان) لحقوا بمكة فسكنوا بها[9] . ولكنهم لم يشيروا الى بنية على نحو ما جاء في التوراة .

وأما (مديان) (مدان) (Midian) ، فإنه (مدين) في الموارد العربية .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٥١٣ وما بعدها) ، Hastings, P. 769.

٢ الاسراء ، السورة رقم ١٧ ، الاية ٥٥ ، ال عمران ، ٣ ، الاية ١٨٤ ، النحل ، ١٦ الاية ٤٤ ، الشعراء ، ٢٦ ، الاية ١٩٦ ، فاطر ، ٣٥ ، الاية ٢٥ ، القمر ، ٥٤ ، الاية ٤٣ ، ٥٢ .

٣ الفهرست (ص ٣٤) .

٤ Hastings, P. 990.

٥ Glaser, Skizze, 2, S. 453.

٦ Osiander, in ZDMG. 10, 31 Enc. Bibli. P. 2564.

٧ صفة (ص ١١٦) .

٨ Enc. Bibli. P. 2564, Hastings, P. 490, Montgomery, Arabia and the Bible, P. 44.

٩ الطبري (١/٣١١) ، « دار المعارف » .

وقد ورد ذكر (مدين) و (أصحاب مدين) في مواضع من القرآن[1] . ورد على سبيل العظة والتذكير بمصير يشبه مصير (مدين) ، وأشار الى نبيهم (شعيب) : (والى مدين أخاهم شعيباً)[2] . وورد اسمهم في سورة (التوبة) مع قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم[3] ، وورد مثل ذلك في سورة (الحج)[4] . ومما جاء في القرآن على لسان شعيب ، قوله يخاطب أهل مدين : « يا قوم ، اعبدوا الله ما لكم من إلـه غيره ، قد جاءتكم بيّنة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ، ذلكم خيرٌ لكم ان كنتم مؤمنين »[5] . وورد في سورة هود ما يشير أيضاً الى أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ، فاستحقوا العقاب والعذاب ، وذلك لترهيب أهل مكة ، وكانوا تجّاراً ، من نقص المكيال والميزان ، لئلا يصيبهم ما أصاب قوم شعيب حيث أصابهم الهلاك .

ويظهر من ذكر (الرجفة) أن حدثاً أرضياً ، هزة أو هياج حرّة ، أصابهم ، فأثّر فيهم[6] . وهذا ممكن جداً ، لأن أرض مدين من مناطق الزلازل والحِرار .

ولورود اسم (مدين) وقصة (شعيب) في القرآن الكريم ، عني المفسرون وأصحاب قصص الأنبياء بجمع ما ورد عن أهل مدين وأخيهم شعيب من أخبار ، غير انهم لم يجدوا في ذاكرة من تقدمهم شيئاً ، فاستعانوا بما ورد عند يهود . وقد أضاف الأخباريون الى ذلك شيئاً من القصص الشعبي ، وشيئاً ابتكروه ، فأصبح (شعيب) (شعيب بن نويت بن رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين ابن ابراهيم)[7] . وقد ذكر الطبري وغيره من المفسرين والمؤرخين ان اسم (شعيب) (يثرون) (يثرون) (يثرو)[8] ، وقد أخذوا ذلك من أهل

---

١ الاعراف ، ٧ ، الاية ٨٥ ، التوبة ٩ ، الاية ٧٠ ، هود ، ١١ ، الاية ٨٤ ، ٩٥ ، طه ، ٢٠ ، الاية ٤٠ ، الحج ، ٢٢ ، الاية ٤٤ ، القصص ، ٢٨ ، الاية ٢٢ ، ٢٥ ، ٤٥ ، العنكبوت ، ٢٩ ، الاية ٣٦ .
٢ الاعراف ٧ ، الاية ٨٥ .
٣ التوبة ٩ ، الاية ٧٠ .
٤ الحج ٢٢ ، الاية ٤٤ .
٥ الاعراف ٧ ، الاية ٨٥ .
٦ العنكبوت ٢٩ ، الاية ٣٦ .
٧ مروج الذهب (٢٨/١) .
٨ الطبري (١٦٧/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٦١/١) .

الكتاب ولا شك ، ففي التوراة ان (موسى) نزل على أهل (مدين) ، بعد هربه من (فرعون) ، وتزوج ابنة كاهن (مدين) (مديان) (يثرون) ، واسمها (صفورة) ، فولدت له ولداً دعاه (جرشوم) (كرشوم) . فرأى المفسرون والأخباريون ان شعيباً المذكور في القرآن الكريم هو (يثرون) التوراة . ويرى (بول) (Buhl) ان ذلك لم يكن معروفاً في صدر الإسلام وانما حدث هذا بعد هذا العهد[1] .

وقد وضع بعض أهل الأخبار نسباً عجيباً مضحكاً لـ (شعيب) ، فجعلوه (يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت بن ابراهيم)[2] . وتعقّل آخرون فقالوا: انه (شعيب بن ميكيل) من ولد مدين[3] . وقيل غير ذلك . وكل هذا من وضع أهل الأخبار ، وأهل الكتاب الذين أمدّوهم بمثل هذه الأنساب والقصص، ولم يتورعوا من ادّعاء انهم وجدوا ذلك في كتب الله .

وقد عرف (يثرو) (Jethro) (Jether) بـ (رعوئيل) (Reuel) أيضاً في التوراة[4] . كما عرف بـ (حوباب بن رعوئيل) في موضع آخر[5] . ويظهر ان خطأ قد وقع في كتابة الاسم الثاني أو الأول ، ولهذا صار (رعوئيل) في سفر الخروج و (حوباب بن رعوئيل) في سفر العدد . ونرى ان الاسم الذي ذكره (المسعودي) وغيره من أهل الأخبار لـ (شعيب) الذي هو (يثرو) يختلف مع اسمه المذكور في التوراة . ويرى بعض الباحثين ان كلمة (يثرو) ليست اسم علم له ، وانما هي كناية عن وظيفته ، وهي الكهانة ، فقد كان كاهناً في قومه،والكاهن هو (يثرو) في بعض اللغات العربية الجنوبية ، وأما اسمه ، فهو (رعوئيل) أو (حوباب بن رعوئيل)[6] .

وقد جعل الناس لشعيب قبراً زعموا انه على مقربة من (حطين) في موضع سماه (ياقوت) (خيارة)[7] . وقال له (بول Buhl) (خربة مدين)[8] .

---

١ Enc. Vol. 4, P. 389, J. Horovitz, Koranische Untersuchungen, Berlin, 1916, S. 119. ff.
٢ الطبري (١٦٧/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٦١/١) .
٣ الطبري (١٦٧/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٦١/١) .
٤ الخروج ، الاصحاح الثاني ، الاية ١٨ .
٥ العدد ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٩ .
٦ Hastings, P. 465.
٧ البلدان (٢٩٩/٣)
٨ Enc. Vol. 4, P. 389.

وقد ورد خبر (مدين) في غزوة (زيد بن حارثة) لجذام في (حسمى)[1] . ويظهر من بعض الموارد الإسلامية أن (مدين) كانت في صدر الإسلام من أرض (جذام) ، وانها كانت اذ ذاك أكبر من (تبوك) . وبها بئر زعم انها البئر التي استقى منها موسى[2] .

ويظهر من شعر (كُثَيِّر عزَّة) انه كان في أيامه بمدين جماعة من الرهبان، يتعبدون ، ويبكون من حذر العقاب[3] . وورد اسم بطن يقال له (بنو المدّان)، كما ورد ذكر (مدان) في غزوة (زيد بن حارثة) بني جذام ، ويقال له (فيفاء مدان)[4] . (والمدان) اسم صنم أيضاً ، وبه عرف (بنو عبد المدّان)[5] .

وفي التوراة ان (المديانيين) كانوا برفقة (الإشماعيليين) لما بيع (يوسف)[6] . وأن موسى نزل عندهم وتزوج فيهم : أخذ ابنة (يثرون) كاهن (مديان) (مدين)[7] . وفي موضع آخر أن (يثرون) من (بني القيني) (Kenite)[8] ويظن أن (بني القيني) هم فرع من فروع (مديان)[9] .

---

١ ابن هشام (٩٩٤/١) « طبعة وستنفلد » .

٢ صفة (١٢٩) ، اللسان (٢٨٩/١٧) ، البلدان (٤١٨/٨) ، ابن خرداذبه ، المسالك (ص ١٢٩) ، « طبعة دى غويه » ، ابن رستة ، الاعلاق (طبعة دى غويه (ص ١٧٧) ، احسن التقاسيم ، (ص ١٥٥) ، « طبعة دى غويه » ، البلدان لليعقوبي (ص ٣٤١) ، « طبعة دى غويه » ، البكري ، معجم ، (٥١٦/٢ فما بعدها) ، « طبعة وستنفلد » .

٣ البلدان (٤١٨/٨)

٤ اللسان (٢٨٩/١٧) .

٥ « والمدان : صنم ، وبنو المدان بطن » ، اللسان (٢٨٩/١٧) ، Enc. Bibli. P. 3002.

٦ « فمر قوم مدينيون تجار ، فجذبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضة ، فأتوا بيوسف الى مصر » التكوين ، الاصحاح السابع والثلاثون ، الاية ٢٨ .

٧ الخروج ، الاصحاح الثالث ، الاية ١ وما بعدها ، « وكان موسى يرعى غنم يثرو حميه كاهن مدين، فساق الغنم الى ما وراء البرية ،حتى افضى الى جبل الله حوريب » .

٨ القضاة ، الاصحاح الاول ، الاية ١٦

٩ Hastings, P. 616, Enc. Bibli. P. 3080.

وقد اتحد (المديانيون) مع (مؤاب) ضد اسرائيل[1] . وفي أيام (جدعون) (Gideon) كان المديانيون قد ضايقوا العبرانيين مضايقة شديدة ، وكانوا قد اتفقوا مع العمالقة و (بني المشرق) ، فتمكن (جدعون) من اخراجهم . وقد ورد في سفر (القضاة) اسم أميرين من أمراء المديانيين ، هما (غراب) (Oreb) ، و (ذئب) (Zeeb)[2] وورد في الإصحاح الثامن من القضاة اسم ملكين أو (شيخين) من (مديان) (مدين) هما : (زبح) (Zebah) و (صلمناع) (Zalmuna)[3] . والظاهر أنه لم يعد للمديانيين شأن منذ هذا العهد ، فلم يرد عنهم شيء يذكر ، ولعلهم ذابوا في القبائل العربية الأخرى[4] .

ويفهم مما جاء في (القضاة) أنهم كانوا فرعاً من (الإسماعيليين)[5] . والذي يفهم من مواضع متعددة من أسفار التوراة أن مواطن (المديانيين) كانت تقع شرق العبرانيين[6] . والظاهر أنهم توغلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين ، واتخذوا لهم هناك مواطن جديدة ، عاشوا فيها أمداً طويلاً بعد هذا التأريخ حيث يرد ذكرهم في الأخبار المتأخرة[7] . وقد ذكر (بطلميوس) موضعاً يقال له (مودينا) (Modiana) على ساحل البحر الأحمر ، يرى العلماء أنه موضع (مدين) ، وهو ينطبق على موضع أرض مدين المعروفة في الكتب العربية[8] .

وذكر (يوسفوس فلافيوس) المؤرخ اليهودي المعروف مدينة سماها (Madiana) وقال إن موسى زارها[9] . وذكر (بطلميوس) مدينة أخرى سماها (Madiama)[10] ، وقد أشار المؤرخ (أويسبيوس) (Eusebius) الى مدينة دعاها (مديم) (Madiam) ، قال إنها سميت بهذا الاسم نسبة الى ولد من أولاد (قطورة) زوج ابراهيم ، وهي تقع في بادية الـ (سَرسَين) (Saracens) الى شرق

---

١ القضاة ، الاصحاح السادس ، الاية ٢٣ .
٢ القضاة ، الاصحاح السابع ، الاية ٢٥ ، الاصحاح الثامن ، الاية ٣ .
٣ القضاة ، الاصحاح الثامن ، الاية ٦ وما بعدها .
٤ Hastings, P. 616.
٥ القضاة ، الاصحاح الثامن ، الاية ٢٤ Enc. Bibli. P. 3081.
٦ Enc. Bibli. P. 3081, Hastings, P. 616.
٧ Enc. Bibli. P. 3081.
٨ Enc. Bibli. P. 3081, Hastings, P. 616, Ptolemy, VI, 7, 27, Enc. Vol. 3, P. 104.
٩ Josephus, Archaeologia, II, 257, (Naber), Musil, Hegaz, P. 278.
١٠ Ptolemy, Geography, VI, 7, 27, Enc. Bibli. 3081.

البحر الأحمر . ويرى (موسـل) أن (Madiama) أو (Madiam) هي (مدين)[1] .

ويظهر من التوراة أن (المدينين) قد غيّروا مواضعهم مراراً ، بدليل ما يرد فيها من اختلاطهم بـ (بني قديم) والعمالقـة والكوشيين والإسماعيليين[2] . ويظهر أنهم استقروا بعد ضعفهم في المنطقة التي ذكر (يوسفوس) وجود مدينة (Madiana) فيها ، أي في القرون الأخيرة قبل الميلاد . ويرى (موسل) أنها تقع في جنوب (وادي العربة) والى جنوب وجنوب شرقي العقبة[3] .

ومن الصعب تعيين (بشاق)[4] . فقد رأى بعضهم أنه موضع (يسبق) وهو مكان في شمال سورية ، ذكر في كتابات (شلمنصر) الثاني[5] . وقد ورد في خبر فتوحات (تغلا تبليزر) الأول اسم مكان يقال له (سوخ) (Sukh) أو (شوح) أو (شوخ) (Schukh) ، ويقع شرق (حلب) ، وهو لا يبعد كثيراً عن أرض (يسبق) (Jasbuk) . واسم (سوخ) قريب جـداً من (شوح) الذي يلي اسم (يشباق) في التوراة ، لذا رأى بعض العلماء أنه هو الموضع المقصود ، وأن (يشباق) كناية عن هذا المكان ، عن موضع (يسبق) الذي لا يبعد كثيراً عن (شوح)[6] . ورأى بعض الباحثين أنه (الشبك) ، وهو موضع يقع على طريق (السكة الرومانية) الموصلة الى العقبة[7] .

وأما (شوحا) ، فذهب بعض الباحثين الى أنه موضع (سوخ) (سوخو) (Sukh) (Suchu) المـذكور في نص (أشور بنبال) (٨٦٠) ق. م.[8] . ويقع على الجانب الأيمن من نهر الفرات[9] . وقد ذكرت أن نفراً من الباحثين رأوا

---

١ Musil, Hegaz, P. 279.

٢ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الاية ٦ ، الاصحاح السابع والثلاثون الاية ٢٥ ، ٢٨ العدد، الاصحاح الثاني عشر ،الاية ١ ، حبقوق ، الاصحاح الثالث ، الايـــة ٧ .

٣ Musil, Hegaz, P. 287.

٤ Hastings, P. 392.

٥ Enc. Bibli. 2210, Fr. Delitzch, in "Zeitschrift fuer die Keilschriftforschung und verwandte Gebiete," 2, 91. f., 1885 W. Smith, A Dictionary of the Bible, comprising its Antiquities, Biography, Geography, and Natural History, 2nd. Ed. Glaser, Skizze, 2, S. 445. Glaser, Skizze, 2, S. 445. ff.

٦ Glaser, Skizze, 2, S. 445. ff.

٧ Forster, I, P. 352. f.

٨ Enc. Bibli. P. 4495.

٩ Hastings, P. 852, Enc. Bibli. P. 4495.

أنه مكان (سوخ) المذكور في نص (تغلا تبليزر) الأول . وقد نسب أحد أصحاب (أيوب) الثلاثة ، وهو (بلدد) الى (شوح) فعرف بـ (الشوحي)[1] . ويظن كثير من العلماء أنه من قبيلة أو من أرض عرفت بـ (شوح) ، وأن هذه القبيلة أو الأرض هي (شوحا)[2] .

وقد نسبت التوراة ولدين الى يقشان هما : (شبا) ، و (ددان) . ويجب أن تكون أرض (شبا) هنا في جوار أرض (ددان) ، وذلك لورود (ددان) مباشرة بعد (شبا) ، أي على مقربة من موضع (ديدان) الذي هو (العلا) في الحجاز[3] . وأهل (شبا) المذكورون هنا ، هم جالية سبئية من جاليات سبئية عديدة انتشرت بين اليمن وفلسطين ، وفي السواحل الإفريقية المقابلة لليمن[4] ، كما سأتحدث عن ذلك .

ولم تهب التوراة لشبا أولاداً ، بل تركته عقيماً . إنما وهبت شقيقه ددان عدداً من الأولاد ونسلاً ، هم (أشوريم) و (لطوشيم) و (لأميم) . أما (أشوريم (Ashurim) (Asshurim) ، فإنهم قبيلة عربية من قبائل (قطورة) باجماع علماء التوراة ، ولا صلة لهم بـ (آشور) ، أي الآشوريين . وقد ورد في (الترگوم) (Targum) أن (آشوريم) بمعنى سكان مستوطنة أو معسكر[5] . مما يدل على ان هؤلاء العرب كانوا مستقرين مقيمين في مستوطنات ، ولم يكونوا أعراباً .

وقد ورد اسم (آشور) في نصوص معينة مقروناً باسم موضع (عبر نهران) ، وتقع هذه المنطقة من (طور سيناء) الى (بئر السبع) (Beersheba) و (حبرون)[6] وتحاذي (مصرى) في جزيرة العرب على رأي (ونكلر)[7] .

ولا نعرف شيئاً عن (لطوشيم) و (لاميم) ، ويظن (كلاسر) أنهم من سكان (طور سيناء)[8] .

---

١ ايوب ، الاصحاح الثاني ، الاية ١١

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٤٥) ، Enc. Bibli. P. 4495 Hastings, P. 852.

٣ Glaser, Skizze, 2, S. 454.

٤ Hastings, P. 842.

٥ Hastings, 2, P. 59.

٦ Enc. Bibli. P. 346, Glaser, 1155, Winckler, AOF, 28. f. ZDMG. 1895, S. 527, Winckler, Musri, 2, S. 51. ff.

٧ Winckler, Musri, 2, 51.

٨ Glaser, Skizze, 2, S. 460, Enc. Bibli. P. 2768, Hastings, P. 541.

وأما (مديان) (مدين) ، فكان له من الأولاد : عيفة ، وعفـــر ، وحنوك ، وابيداع ، والدعة[1] . فهم اذن قبائل من صلب (مديان) أي مدين .

أما (عيفة) ، فقد ورد ذكره في التوراة على انه اسم قبيلة كانت تحمل الذهب واللبان على الجمال من (شبا) وتبيع تجارتها في فلسطين .

ذكرت مع (مدين)[2] . ويظهر ان (بني عيفة) وأهل مدين، كانوا وسطاء أو تجاراً يذهبون الى (شبا) ، فيحملون الذهب واللبان ، لبيع هذه السلـــع الغالية النفيسة في فلسطين . ولا نعرف من أمر هذه القبيلة في الزمن الحاضر شيئاً يذكر[3] .

وأما (عفر) ، فاسم قبيلة يظن بعض العلماء انها (بنو غفار) من (كنانة)[4]، أو موضع (يعفر) على مقربة من (الحنكيـــة) بـين تهامة وأبان[5] . ورأى (كلاسر) انه موضع (Apparu) الذي ورد في كتابة تعود الى (آشور بنبال)[6].

وهناك مواضع أخرى اسمها قريب من اسم (عفر) ، فعلى مقربة من (مكة) موضع يعرف بـ (عفر) وبـ (عفار) ، وفي نواحي (العقيق) مكان يسمى (عفاريات)[7] . وذكر (الهمداني) (عفار) و (الخنقة) ، واسماهما قريبان من (عفر) و (حنوك)[8] . غير ان في أعالي الحجاز في منطقـة (مدين) وفي الأردن مواضع تسمى بأسماء قريبة من (عفر) .

وأما (حنوك) ، فلا نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد ذهب بعض الباحثين الى انه (الحنكية) ، وهو موضع في شمال المدينة[9] .

وأما (ابيداع) (Abida') ، فيرى (كلاسر) انه موضع من هـــذه

---

١ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرون ، الاية ٤ .
٢ اشعياء ، الاصحاح الـ ٦٠ ، الاية ٦
٣ Enc. Bibli. P. 1301, Hastings, P. 231.
٤ Enc. Bibli. P. 1301.
٥ Enc. Bibli. P. 1301.
٦ Glaser, Skizze, 2, S. 449.
٧ صفة (ص ٢٥٣)
٨ البلدان (٦/١٨٧ فما بعدها) .
٩ Glaser, Skizze, 2, S. 449, Enc. Bibli. P. 1960.

المواضع في الحجاز[1]. وقد ورد في النصوص السبئية اسم قريب من هذا الاسم[2]. ولا نعرف من أمر (الدعة) شيئاً حتى الآن[3].

أبناء كوش :

ونجد في التوراة ان أبناء (كوش) (سبا ، وحويلة ، وسبتة ، ورعمة ، وسبتكا) ، وان (شبا و ددان) هما ابنا (رعمة) . و (كوش) هو ابن (حام) ، والمراد بأبناء (كوش) الحبش وسكان (نوبيا) وهم سود[4].

أما الأسماء المذكورة ، فهي أسماء قبائل وأرضين عربية مغروفة ، لذلك حار علماء التوراة في تفسير الأسباب التي حملت كتبة التوراة على جعل تلك الأسماء أسماء أولاد لكوش. فرأى بعضهم انها كناية عن قبائل عربية هاجرت من جزيرة العرب الى السواحل الافريقية المقابلة واستقرت في افريقية منذ أزمنة قديمة وكوّنت لها مستوطنات وربما حكومات هناك ، واندمج نسبها في أرض افريقية ، فعُدّت من شعوبها ، فلما دوّن أهل الأنساب العبرانيون أنساب البشر في أيامهم عدّوها من شعوب افريقية بحسب اقامتها ، وأدخلوها في أبناء (كوش)، أي في أبناء تلك المنطقة التي أقاموا فيها . وذهب بعض آخر الى أن (الكوشيين) المذكورين لم يكونوا من افريقية ، بل من جزيرة العرب ، ورأوا وجود (كوش) أخرى في جزيرة العرب أصحابها هم القبائل العربية المذكورة[5] . واستدلوا على ذلك بما جاء في (أخبار الأيام الثاني) : « وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب (الكوشيين) »[6] . حيث يفهم من هذه الآية ان العرب المذكورين الذين عادوا (يهورام) كانوا يجاورون (الكوشيين) ، ويقتضي ذلك على زعمهم وجود (كوش) أخرى ، هي (كوش عربية) ، واياها قصد (سفر التكوين) في هذا المكان[7] .

---

١ Glaser, Skizze, 2, S. 449.
٢ Enc. Bibli. P. 14.
٣ Enc. Bibli. P. 1255.
٤ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٧ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس(٢/٢٧٨)
٥ Hastings, P. 171.
٦ الاصحاح الحادي والعشرون ، الاية ١٦
٧ Hastings, P. 171.

(Rammanitae) الذي ذكره (سترابو)[1] ، أو موضع (ركمت) (ركمات) (رجمت) (رجمات) المذكور في كتابات المسند . ويخيل إليّ أنه كناية عن حلف ضمّ جماعة من السبئيين الشماليين والديدانيين ورعمة ، في تلك الأيام ، ولذلك صُيّر والداً لشبا ودان ، ثم انفصمت عراه ، فذكرت (رعمة) مع (شبا) تتاجر مع (صور) (Tyr) وذلك في سفر حزقيال[2] ، أو أنه اسم أرض في شمال غربي العربية الغربية يجاور مواضع السبئيين الشماليين والديدانيين . أو في موضع ما من سواحل الخليج[3] .

وأما (سبتكا) ، فلا نعرف من أمرها شيئاً يذكر . وقد ذهب بعض العلماء الى أنها تحريف لفظة (سبته)[4] . ويرى (كلاسر) أنها في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب[5] .

الهاجريون :

وذكر في التوراة اسم شعب سكن في شرقي الأردن وفي شرقي أرض (جلعاد) ، عرف باسم (الهاجريين) . وهم من العرب أو من (بني إرم) في رأي بعض العلماء[6] . غير أن اطلاق هذه اللفظة على الإسماعيليين ، يدل على ان المراد بهم العرب ؛ لأن (الإسماعيليين) هم عرب ، وأن (هاجر) كناية عن أم (إسماعيل) جدّ القبائل التي تحدثت عنها على رأي التوراة . وقد ذهب بعض الباحثين الى الى أن مراد التوراة من (الهاجريين) الأعراب ، أي البدو وهم عرب أيضاً[7].

وقد امتدت منازل الهاجريين من الفرات الى (طور سيناء) ، فهي منطقة

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٤٨٥) ،
Hastings, P. 780, Enc. Bibli. P. 3997, Hommel, AHT. S. 240, Montgomery, Arabia, P. 30, 39, 42, 58, Glaser, Skizze, 2, S. 352, Forster I P. 59. ff.

٢ حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٢٢

٣ Forster, I, P. 59. ff. Glaser, Skizze, 2, S. 252.

٤ Enc. Bibli. P. 4181, Glaser, Skizze, 2, S. 252, Hastings, P. 809.

٥ Glaser, Skizze, 2, S. 252, Forster, 2, P. 59.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢/٤٤٦ وما بعدها) ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الخامس ، الاية ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٣١ .

٧ Hastings, P. 325.

أما (سبأ) ، وقد ذكر الاسم بالسين في هـذا الموضع من التوراة ، فإنه اسم شهير معروف ، هو شعب سبأ . وتصور التوراة وجود (سبأ) في (كوش) ، يشير الى انتشار السبئيين في افريقية ، ووقوف العبرانيين على ذلك ، وعندي ان ذكر السبئيين مرة بـ (شبا) أي بالشين المعجمة ، ومرة بالسين المهملة ، انما وقع من كتبة الأسفار ، كتبوه بالشين على وفق النطق العبراني ، وكتبوه بالسين على نحو ما ينطق به في العربية ، فظهر الاسم وكأنه اسم شعبين متباينين ، ولا سيما في الموضع المذكور ، حيث ظهر اسم (سبا) بالسين ، ابن من أبناء (كوش) ، بينما ظهر بالشين أي (شبا) ابن من أبناء رعمة وشقيق لـ (ددان) على حين ورد بالشين أيضاً في أولاد يقطان . والظاهر ان المورد الذي استقى منه كتبة الأسفار هذه الأسماء سمّوها بالشين من اخوانهم العبرانيين الذين كانوا على اتصال بالسبئيين ، وذلك على وفق نطقهم ، وقد كان هؤلاء السبئيون من سكان اليمن وأعالي الحجاز ، فأطلقها عليهم بحسب نطق العبرانيين بها ، وسمع عن السبئيين الآخرين وهم من دعاهم بـ (الكوشيين) من العرب ، فضبطها بالسين . وفرّق بين الأنساب على طريقة العبرانيين من نسبة الأقوام الى المواضع التي تقسيم من ينسبونهم بها .

وأما (حويلة) ، فقد تحدثت عنها في كلامي على أبناء (يقطان) .

وأما (سبتة) (Sabta) ، فقد رأى بعض العلماء انها قبيلة من قبائل جزيرة العرب ، يجب أن تكون مواطنها بين (سبأ) و (رعمة) ، ورأى آخرون انها على ساحل الخليج[1] ، على حين رأى آخرون انها (Sabota) أي (شبوة) عاصمة حضرموت ، ورأى (كلاسر) انها في اليمامة[2] .

وأما (رعمة) (Raamah) ، فإنه والد (شبا) و (ددان) (ديدان) ، ولكونه أحد أبناء (كوش) وجب البحث عن أرضه في افريقية ، إلا أن العلماء لا يتفقون على ذلك ، بل يذهب أكثرهم الى ان (رعمة) كناية عن أرض هي في مكان ما من جزيرة العرب ، في غرب الخليج العربي حيث موضع (Regma) الذي ذكره (بطلميوس) ، أو في أرض

---

١ Hastings, P. 809, Enc. Bibli. P. 4181.

٢ Glaser, Skizze, 2, S. 252, Enc. Bibli. P. 4181.

واسعة تشمل الباديـــة : بادية الشأم ، وتضم عدداً كبيراً من الأعراب . وهي منازل (الإسماعيليين) أيضاً ، وقد يكون هذا هو السبب في عدم تمييز التوراة أحياناً فيما بين الهاجريين والإسماعيليين[1] . وقد ذكروا مع (يطور) (Jetur) و (Naphish) ، وهما من الإسماعيليين . وأشير الى اسم رجل من الهاجريين عرف بـ (يازيز) (Jaziz) ، ذكرت التوراة أنه كان يرعى بغنم داوود[2] في جملة أشخاص كان (داوود) قد أودع اليهم أمر ادارة أمواله[3] .

وبعد ، فهذا كلام موجز في أثر التوراة على روايات أهل الأنساب والأخبار في أنساب العرب . وقد رأيت أن مروجيه ومدخليه بين العرب هم أهل الكتاب، ومعظمهم من يهود أو من مسلمة يهود . لهذا ترى أسانيد أكثر هـذه الروايات تنتهي بـ (كعب الأحبار) و (وهب بن منبه) وأضرابهما . وقد ينتهي السند بـ (ابن عباس) ، من طريق (ابن الكلبي) عن أبيه ، عن أبي صالح[4] . وللعلماء كلام في هـــذا السند . و (ابن الكلبي) مورد مشهور معروف في هذه الموضوعات ، لا يقابله في ذلك إلا (ابن اسحاق) الذي غرف ، كما ذكرت في أول هذا الفصل ، من مناهل أهل الكتاب ، وكان يسميهم أهل العلم الأول، فملأ كتابه لذلك بغث كثير ، لاعتماده على هؤلاء وتوثيقه لهم ، ولم يكن لأكثرهم كما يظهر من نقد ما نسب اليهم علم بما جاء في التوراة . وبكتب اليهود الأخرى .

وقد ظهر لي من دراساتي لهذا الموضوع وللقصص الإسرائيلي عامةً أن كثيراً من هذا الذي يرويه أهل الأخبار في النسب وفي القصص ، بعيدٌ عمـــا يرد في التوراة ، وقد اخترع اختراعاً وصنع بغباوة وبجهل ، وحشي بألفاظ عبرانية أو قريبة منها ، بطريقة مضحكة أحياناً ، تدل على خبث واضع الخبر أو جهله ، وعلى سذاجة الناقل عنه وعلى عدم اهتمامه إلاّ بإظهار نفسه بمظهر الواقف عـــلى عدم اهتمامه إلا باظهار نفسه بمظهر الواقف على الأخبار ، ولذلك كان لا يهمـه إلاّ جمع الأخبار وقصها للناس ، وقـــد يكون هو واضع تلك الأخبار وصانع ذلك القصص .

---

١ The Bible Dictionary, Vol. I, P. 499, 570.

٢ اخبار الايام الاول ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٣١

٣ Hastings, A Dictionary, II, P. 281.

٤ الطبري (١/٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨) ، « دار المعارف » .

وقد ذكر (الطبري) في تأريخه حديثاً يرجع سنـده الى رسول الله ، في أبناء نوح ، زعم أن الرسول قال : (سام أبو العرب ، ويافث أبـو الروم ، وحام أبو الحبش) . ذكره بصور مختلفة ، فيها تقديم وتأخير ، أو زيادة في بعض الألفاظ . ويتصل اسانيد هذا الحديث بمختلف صور رواياته الى سند واحد ، هو : (سعيد بن أبـي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ابن جندب ، عن الرسول)[1] .

وهناك أحاديث ، وردت في موضوع نسب عدنان ، فيهـا نهي عن تجاوز ما وراء ذلك ، وهي وأمثالها يجب أن تكون موضع دراسة مستقلة حقاً ، لنرى سلاسل سندها ، ومقدار قربها أو بعدها من حديث الرسول . فعلى مثل هـذه الدراسة نستطيع أن نبني أحكاماً في موضوع رأي النسابين في نسب العرب في أيام الرسول .

ولا بد لي هنا من التنبيه على أن (محمداً بن اسحـاق بن يسار) صاحب المغازي والسير ، هو — كما قلت مراراً — من الآخذين عن أهـل الكتاب ، الراوين عنهم[2] . وكان يسميهم أهل العلم الأول . وهم بالطبع من هذه الناحية أعلم من غيرهم بأمور التوراة والإنجيل ، بحكم كونهم يهوداً أو نصارى . ولهذا نجد المؤرخين والأخباريين يروون ما ورد من قصص توراتي ومن أنساب توراتية عن (ابن اسحاق) ، فهو اذن أحد الناشرين للإسرائيليات بين المسلمـين . والقصص الإسرائيلي الذي نشره ، ليس في الواقع قصصاً اسرائيليـاً صافياً خالياً من الكدرة ، بل هو متفاوت في درجات النقاء والصفاء . فيه العكر ، وفيه ما هو قريب مما جاء في التوراة ، وفيه ما هو مطابق لما جاء في (العهد القديم) ، فهو نقي صاف . ويعود سبب هذا الاختلاف الى الموارد التي استقى منها (ابن اسحاق) علمه . ففيها منابع كانت ذات علم ووقوف على كتب أهل الكتاب ، وفيها موارد مدعية أو ليس لها حظ من العلم ، وانما تحدثت اليه على نحو ما كان شائعاً بين أهل الكتاب ، وبينها موارد استباحت الكذب ، ادعاءً للعلم ولأسباب أخرى ، ومن هنا اختلفت موارد (ابن اسحاق) في درجات النقاء والصفاء .

---

١ الطبري (٢٠٩/١) ، « دار المعارف » .
٢ الاكليل (٣١/١) .

و (هشام بن محمد بن السائب الكلبي) ، هو من الآخذين عن أهل الكتاب كذلك ، المدخلين للإسرائيليات ولأنساب التوراة الى المسلمين . وهناك نفر آخرون أخذوا عن أهل الكتاب أيضاً ، يخرجنا ذكر أسمائهم هنا عن صلب الموضوع ؛ ولهذا اكتفيت بذكر هذين الرجلين ، لما لهما من أثر بارز فيمن جاء بعدهم في موضوع الإسرائيليات وأنساب التوراة .

وأما ما نسب الى (ابن عباس) من أقوال لها صلة بالتوراة فيجب دراسته بحذر ونقده نقداً عميقاً ، ومطابقته بما ورد في تلك الأسفـــار وفي كتب اليهود الأخرى . ونقد سلسلة السند التي تروي تلك الأقوال وتنسبها اليه . ولم يقم حتى الآن باحث لفت نظره هذا الموضوع . لذلك أرجو أن ينتبه اليه العلماء ليبـــدوا رأيهم فيه ، ورأيهم في الأقوال المماثلة المنسوبة الى صحابيـــين آخرين وتابعين ، ليكون حكمنا في مثل هذه الأمور حكماً مستنداً الى درس وعلم .

ومما نسب الى (ابن عبّاس) شعر مشهور معروف اليوم بين الناس قالوا إنه نسبه إلى آدم ، وأنه قال : إن آدم نظمه بعد قتل ابنه ، وهو شعر موضوع بالطبع ، وضع على آدم ، على لسان ابن عباس . فقد نسبه بعض العلماء إلى أناس آخرين[1] .

ولم يعرف عن (كعب الأخبار) أنه ألّف أو دوّن شيئاً ، انما عرف عنه انه كان يجلس مجالسه في المسجد يتحدث الى الناس ويستعين بالتوراة أحياناً يقرأ منها عليهم ، ويفسرها لهم[2] . ولكن (الهمداني) يذكر انـــه كان قد كتب كتباً ، وان أهل (صعدة) ، كانوا قد توارثوا كتبه ورووا منهـا . قال : « روى الصعديون مرفوعاً الى ابراهيم بن عبد الملك الحنفـــري ، قال : قرأت كتب كعب الأخبار ، وكان كعب رجلاً من حمير من ذي رعين ، وكان قد قرأ التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، وأوسع في العلم[3] . وقال أيضاً : (والوجه ما ذكرنا في أول السيرة من هذا الكتاب ، ما رواه أهـل صعدة عن كعب الأحبار في خلق آدم ، ومن خلفه الى نوح ، وخبر الطوفان[4] . وقد

---

١ الاكليـــل (١/٣٦) .
٢ ابن سعد ، الطبقات (٧/٧٩) .
٣ الاكليـــل (١/٥٥) .
٤ الاكليل (١/٥٥) .

نقل (الهمداني) نتفاً عن (الخلق) والأنبياء ونوح والطوفان في الجزء الأول من كتابه : الإكليل ذكر أنها لكعب الأحبار . والظاهر أنه أخذها من رواية أهل صعدة لكتب (ابراهيم بن عبد الملك الخنفري) ، نقلاً من كتب كعب الأحبار[1] .

---

١ الاكليل (١/٥٥) .

obeikandl.com

ضعفت فيهـــا وشائج الدم والنسب ، وكثر فيها التزاوج والتصاهر بين العرب والعجم ، فصعب على الناس فيها المحافظة على أنسابهم ، وقلّت الفائدة من النسب عندهم . ولهذا لم يعتنوا به عناية الأعراب بالأنساب .

فالانتماء الى عشيرة أو قبيلة أو حلف ، هو حماية للمرء ، وجنسية في عرف هذا اليوم . ولهذا صار إخلاص الأعرابي لقبيلته أمراً لازمـــاً له محتماً عليه ، وعليه أن يدافع عن قبيلته دفاع الحضري عن وطنه.فالقبيلة هي قومية الأعرابي، وحياته منوطة بحياة تلك القبيلة . ولهذا كانت قوميـــة أهل الوبر قومية ضيقة ، لا تتعدى حدودها حدود القبيلة وحدود مصالحها وما يتفق أهل الحل والعقد فيها عليه . ومن هنـــا صارت القبائل كُتَلاً سياسية ، كل كتلة وحدة مستقلة ، لا تربط بينها إلاّ روابط المصلحة والفائدة والقوة والضعف والنسب .

والعادة انتساب كل قبيلة الى جدّ تنتمي اليه ، وتدعي انها من صلبه ، وان دماءه تجري في عروق القبيلة ، وتتباهى به وتتفاخر ، فهو بطلهـــا ورمزها ، وعلامتها الفارقة التي تميزها عن القبائل الأخرى . وليس ذلك بدعاً في العرب ، بل إنّا لنجد الأمم والشعوب الأخرى تنتمي الى أجـــداد وآباء . فـ (هيلين) (Hellen) ، هو جدّ أهل (دورس) (Dorus) ، ومنه أخذ (الهيليون) اسمهم هذا . وكان للرومان وللفرس وللهنود وللأوروبيين أجداد انتموا اليهم واحتموا بهم وتعصبوا لهم ونسبوا أنفسهم اليهم على نحو ما نجده عند العرب والإسرائيليين وبقية الساميين[1] .

وفي التوراة ولا سيما (أسفار التكوين) منه ، أبرز أمثلة على النسب ، نجد فيها أنساب الأنبياء والشعوب ، وأنساب بني اسرائيـل . يسبق النسب في العادة جملة : (وهـــذه مواليد) (وإلـه تولدت) ، ثم يرد بعدها النسب[2] . أي أسماء من يراد ذكر نسبهم . قد يذكر نسب الأب والزوجة والولد،وقد لا تذكر الزوجة ، بل يكتفى بالأب وبأولاده . وقد لا يذكر الولد . والذي يقـرأ هذه الأسماء يقرأها وكأنها أسماء أشخاص حقاً . ولكننا اذا قرأناها قراءة نقد ، نرى أن بعضها أسماء مواضع ومواقع ، أو أسماء قبائل ، وعشائر أو أسماء طواطم ،

---

١ Hastings, P. 285.

٢ راجع السفر العاشر من التكوين ، الاية الاولى Hastings, P. 285.